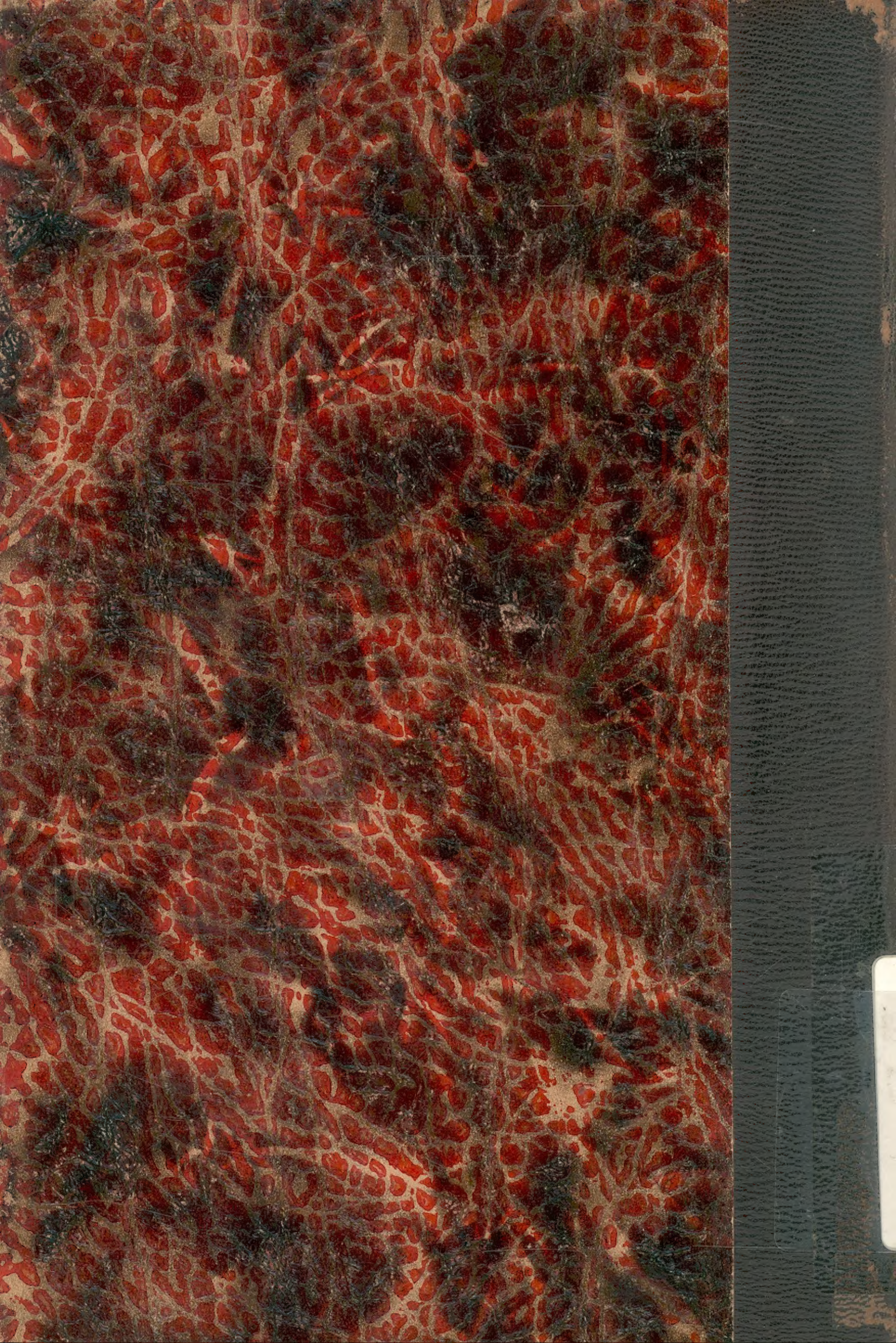
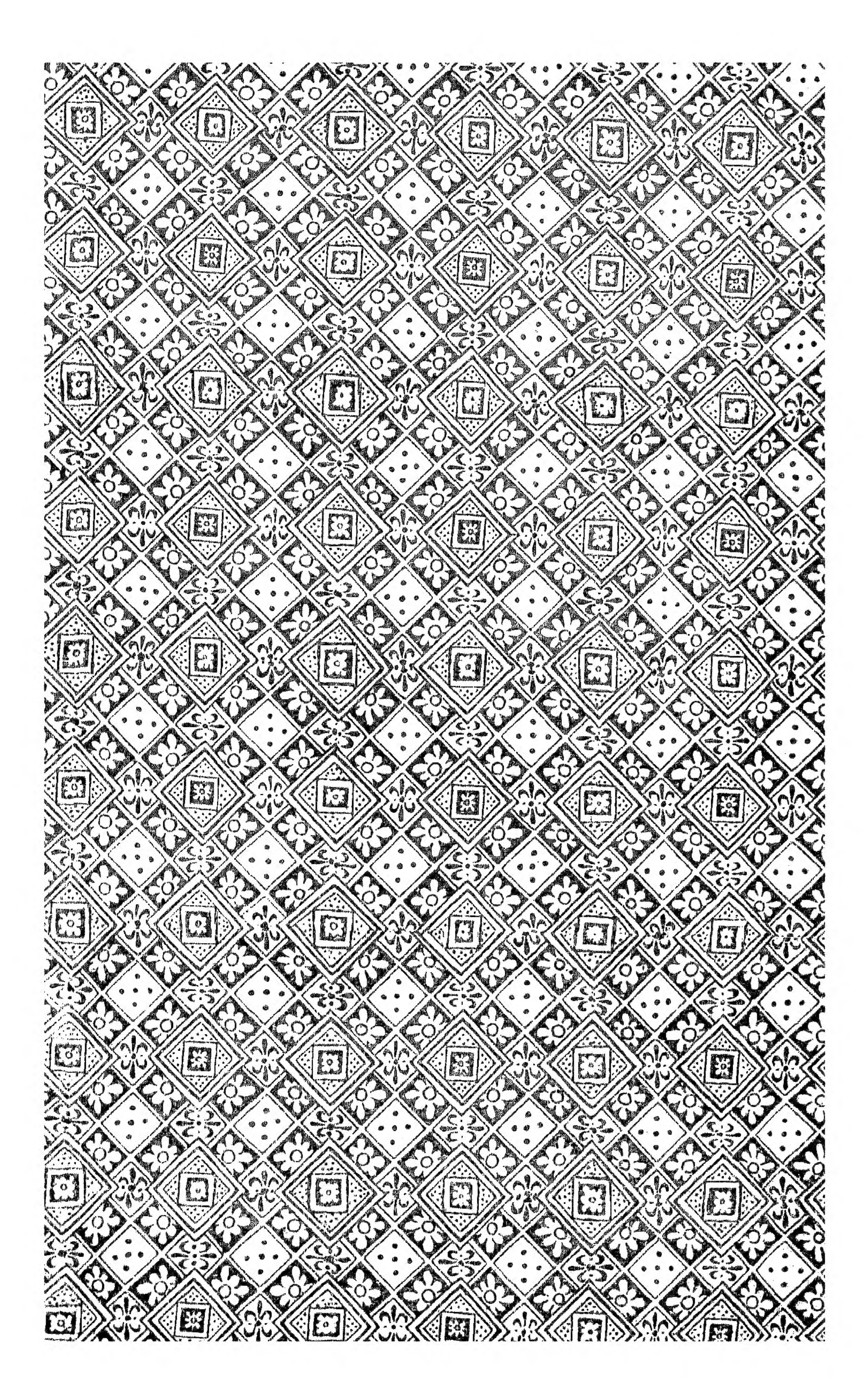
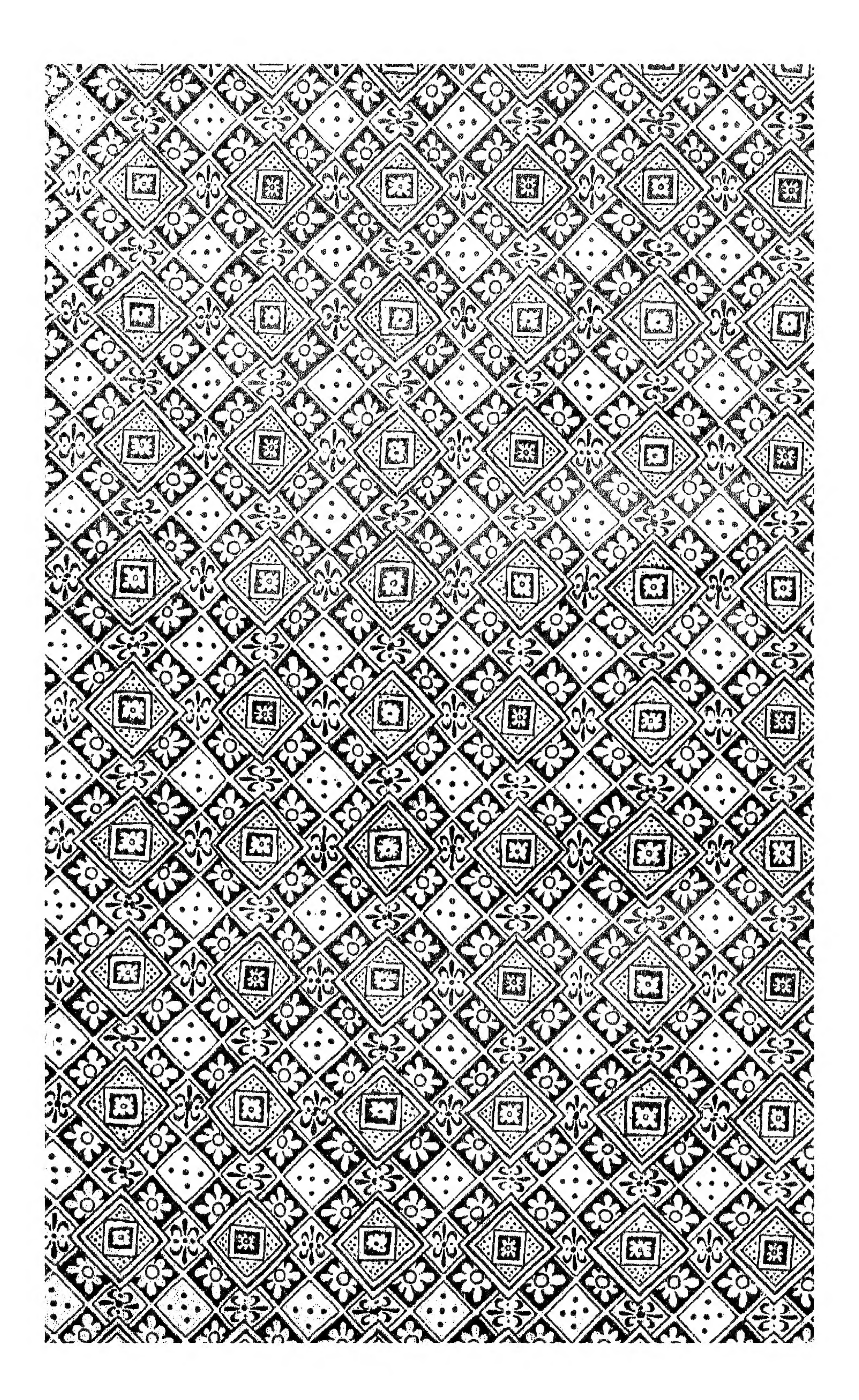






فهرس كتاب المكافأة

« ومقدمة الناشر »

قال معلم الناس الخير :

« من صنع اليكم معروفا فكافئوه »

« فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له بخير »

« حديث شريف »

فهرس مواضيع الكتاب

اهداء الـكتاب

ولو كان يهدى للكريم بقدره * لقصّر فضل المال عنه ونائله

ولكننا نهدى الى من نعزّه * وان لم يكن فى وسعنا ما يعادله

سعادتلو افندم احمد زكى باشا كاتب أسرار مجلس النظار

سيدى وصل الىّ نسخة من كتاب « المكافأة » لابى جعفر احمد بن يوسف الكاتب المصرى . فما اعتزمت أن تصفحته إلاّ وعقدت النية على نشره بين أبناء وادى النيل . لاعتقادى بانى ظفرت بدرّة من تاج الدولة الطولونية لا تقوّم

وقد أنعمت النظر فى كفوءٍ أزفُّ اليه هاته البكر ، وأقدّم اليه تلك الدرّة ، بعد أن جلوتها على منصة الطبع ، وحليتها باشارات « الترقيم » الجليل الوضع

فما هو إلاّ أنت ذلك الكفوء الكريم

ألستَ الآخذ بيد الآداب العربية ، فاحييت مواتها . والمقرب منها البعيد ، فواتك بعد فواتها . أهل غيرك محيي «مسالك الامصار» بعد طموسه ، ومنيل الامة المصرية « نهاية الارب » الذى ابتسم لها النويرى بعد عبوسه ، هذا « التاج » عقدته على هامة مصر ، فهاته درته . وتلك فرسان « الخيل » تتسابق فخراً بوادى النيل ، واليك حليته

فلنبتهل جميعنا بدوام دولة الامير المحبوب خديو مصر المعظم « عباس باشا حلمى الثانى » حيث أجلّك قدرك ، فاحلك سر مجلس نظّاره . فلا برحت مصر ملجأ الامة العربية مشمولة بسامى أنظاره

القاهره فى ١٠ القعدة سنة ١٣٣٢ و ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٤

امين عبد العزيز

مقدمة الناشر

اعتاد المستشرقيون (الاختصاصيون بنشر العلوم العربية من نبغاء الافرنج وعلمائهم) ونعمت المادة . البحث عن أحوال الكتب التي يخدمون بطبعها المجتمعات العلمية ، بحثا يشف عن شدة عناية في العلم ، وشغف باظهار الحقائق . فيقدمون أمام تلك الكتب المقدمات التي يعلم منها حال المؤلف ومؤلفه وحالة العلم في العصر الذي أُلف فيه والفوائد القرعية المستترة خلال فصوله الأصلية . ثم يذيلونها بالتعاليق والفهارس . فلا يفوتهم من الكتاب صغيرة الاّ احصوها ، ولا كبيرة الا تبينوها ، حتى كان لهم من نتائج تلك المقدمات الاهتداء الى تدوينهم تاريخ آداب العلم [1] . ومن تلك التعاليق والفهارس الوقوف

1) تاريخ آداب العلم : بهذا الاسم أو بما هو من معناه . قالوا: تنبه لوضعه ابتداء أواقتداء علماء الافرنج في نهضتهم العلمية الاخيرة . فما من فن من العلم الذي أخذوا به الا ولهم في تاريخ آدابه الكتاب والكتابان حتى المستشرقيون منهم فان لهم في تاريخ آداب اللغة العربية بل في كثير من العلوم العربية التي عنوا بدراستها وفهمها أكثر من كتاب .

ومن الأسف أنا على سابقتنا في العلم نجهل ان لاسلافنا سبق الوضع فيه وان كان بغير هذا الاسم أو لغير هذا المعنى . وضعه علماء الحديث بعد المائة الثانية حينما كثرت البدع فتشعبت لذلك الاهواء ، وافترقت الآراء . وقام كل فريق ينتصر لنحلته ، ويذب عن طريقته . بما يتقوله على لسان صاحب الشريعة فيلصقه

على حقائق الأشياء .

بالدين . فقام يومئذ علماء الأمة ، وحفظة السنة ، خوفا من الاسترسال في الني ء والتمادى في الباطل . يتقبون عن صحيح الاخبار ومعقولها ، وسنن الأفعال ومنقولها . فتميز لهم الصحيح من الموضوع ، والموقوف من المرفوع ، والشاذ والمهمل ، والمعضل والمرسل ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه . حتى عرفوا الواضع وعلة وضعه ، والمتهم وشبهة تهمته . فصح لهم تدوين ذلك العلم على أتم شروطه . حتى أن كل من كتب بعدهم في تاريخ آداب علم ما كان عالة عليهم . يقتدي بترتيبهم ، ويأخذ على نسقهم .

وأول من كتب في الاسلام في تاريخ آداب العلم عموما عدا علماء الحديث ابن النديم في الفهرست ثم أخذ الناس فى التوسع بوضع الموسوعات في موضوعات العلوم فكتب الطوفي البغدادى في تاريخ تراجم المؤلفين في الاسلام ومؤلفاتهم كتابا حافلا يأتي في ثمان مجلدات . ثم أتى في المائة العاشرة طاش كبرى زاده فوضع كتابه مفتاح السعادة في موضوعات العلوم على النحو الذى وضعه ابن النديم . ثم تلاه كاتب جلبي فوضع كتابه كشف الظنون . وهذان الكتابان طبع الأول منهما في المطبعة النظامية بحيدر آباد الدكن وطبع الثاني منهما بليبسك ومصر والاستانة وطبع كتاب الفهرست في ليبسك وأما كتاب الطوفي فقد حكى لى اسماعيل افندي (حافظ الكتب بالمكتبة الحميدية الكائنة بميدان بيازيد في الاستانة وكان من فضلاء الاتراك المنقبين عن الكتب النافعة) : أنه اطلع على مجلدات منه في احدى دور الكتب بالاستانة . وقد اطلعت على مؤلف في أربع مجلدات كبار وضعه (سعادة الميرالاى اسماعيل باشا البغدادى الاصل الاستانة لى المولد والدار) في أسماء المؤلفين ومؤلفاتهم وعلى ذيل لكشف الظنون له أيضا في مجلدين وذلك بالاستانة العلية سنة ١٣٢١ هجرية وفارقته وهو يحيا فيها وقد جاوز السبعين .

وإنى وإن كان كتابى هذا الذى أظهره لقراء العربية يعدّه أكثر مطالعيه من كتب السَّمَر والأخبار التى تُراد للتلهى . لكنى سأجتهد فى الباسه ثوبا من الحقيقة التي أرادها مؤلفه منـه ، وأبيّن للقليلين من روّاد العلم كبير فائدته ، وانه شعبة من التاريخ الذى يعوزنا مطالعته ، ودرس من دروس الاخـلاق الذى يهمنا الأخذ به ، وقاعدة من فن الكتابة التى يلزمنا التمثّل بها .

فها انا ابدأ بالبيان عن النسخة الأصلية ، ثم التعريف بالمؤلف ومكانته من العـلم ، ثم بالكتاب .

النسخة الاصلية

كتاب المكافأة — لأبى جعفر احمد بن يوسف الكاتب ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ونقله عنه ياقوت فى ارشاد الاريب فى الـ جـ ٢ ص ١٥٧ . وذكره الخزرجى أيضا فى الـ جـ ١ ص ١٩٠ من كتابه عيون الانباء وفى هذا كفاية لصحة اسناد الكتاب لمؤلفه .

وصلت الىّ نسخة الاصل من أحد باعة الكتب بنابلس مجلّدة بقطع الربع فى أحد عشر كُرّاسة كتبت فيما أظن ما بين أواخر المائة الخامسة وأوائل السادسة لاتتعداهما وقد تبيّن لى ذلك من صناعة الخط التي اعتادها خطاطى تلك العصور كاهمال الاعجام غالبا والترسم بالحركات فوق الحروف وأسفلها وعلامات الوقوف التى كانت مستعملة اذذاك ثم جنس الورق الذى يندر وجود كتاب به كتب بعـد السادسة .

ويظهر من تأنق الكاتب بتقويم سطورها . واتقان الورّاق لها انها كتبت لذى عناية بالكتب أو لخزانة عظيم من الأمراء .

وقد اجتهدت فى الحصول على نسخة ثانية منه لتصحيح ما عساه ان يكون محرفا أو مصحفا وتصفّحت لذلك اكثر فهارس دور الكتب بالاستانة ودار الكتب الخديوية بمصر والمكتبة الاحمدية بحلب والمكتبة العمومية بدمشق فلم أجد ذلك .

ترجمة المؤلف :

التعريف بالمؤلف يحتاج الى عناية في البحث ، ودقة في التنقيب ، ورجوع الى من يوثق بنقله ، ليكون أثلج لصدر مطالع كتابه ، وأوثق به عند نفسه .

ولقد بحثت في كثير من كتب التاريخ الاسلامي المشتمل على أخبار العباسيين ورجالتهم لانتساب والده لخدمة ابراهيم بن المهدى وصحبته اياه . فظفرت بأخبار متفرقة علمت منها حالة والده المادية والأدبية ، والسر في انتقاله عن بغداد « وطنه الأصلي » واختياره مصر لسكناه . واطلعت أثناء ذلك أيضاً على الكثير من الأخبار التي دونها المؤلف عن العباسيين وذويهم علمت منها صحة إخباره وثقة نقله . ولكني وجدت ذلك لا يصح تدوينه باسم ترجمة كاتب مؤرخ نريد الوقوف على حياته العلمية .

فرجعت الى المعاجم الموضوعة لتراجم رجال الادب وحملة العلم أتتبع المظان فوجدت أبا عبد الله ياقوت الحموى أحد أئمة التاريخ فى القرن السادس وقد أخذ على عهدته أن يدون فى كتابه معجم الأدباء « حسب ماشرط فيه على نفسه » أخبار من عرف بالتصنيف ، وشهر بالتأليف ، وصحت روايته ، وشاعت درايته . من مشهورى القراء ، والمبرزين من الكتاب والادباء ، والأئمة من اللغويين والنحاة ، والمعروفين من المؤرخين وأصحاب الاخبار . فكان من بينهم أحمد بن

يوسف ووالده يوسف بن ابراهيم ذكرهما معاً فى ترجمة واحدة . اعتمد فى نقله عن الحافظ ابن عساكر فى تاريخه « تاريخ دمشق » ثم تعقبه بما نقله من خبر أحمد بن يوسف فقط عن ابن زولاق .

ولمّا كان لياقوت المكانة من الثقة ، وتعويل أهل العلم على خبره . أخذت تلك الترجمة كما هي وجعلت بعض ما التقطته من غيره كالتصحيح والايضاح ، مع التصريح بذكر المنقول عنه . ولعلني أكون بذلك قد أرحت البحاثة من عناية المراجعة ، ووفرت عليه الثمين من الوقت .

قال أبو عبد الله ياقوت الحموى فى الـ جـ ٢ ص ١٥٧ من كتابه ارشاد الأريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء .

أحمد بن أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم يعرف بابن الداية [1] .

كان أبوه ولد داية ابن المهدي . وأظن أنّ المعروف بابن الداية هو يوسف الراوى أخبار أبي نواس والله أعلم .

وكان أبوه يوسف بن ابراهيم يكني أبا الحسن وكان من جلّة الكتّاب بمصر ولا أدرى كيف كان انتقاله اليها عن بغداد . وكان له مروءة تامة ، وعصبية مشهورة .

---

(١) الداية الظئر « أى المربية » قال الفرزدق : ربيبة دايات ثلاث ربينها . وكونه هو هو ابن الداية مما لا اخلاف فيه فقد عرّفه بذلك ابن النديم فى الفهرست ص ١٦٠ وابن جلجل فى أخبار الاطباء فيما حكاه عنه الخزرجي فى الـ جـ ١ ص ٧٧ من عيون الانباء .

قال أبو القاسم العساكرى الحافظ: يوسف بن ابراهيم أبو الحسن الكاتب وأظنه[1] بغداديا كان فى خدمة ابراهيم بن المهدى . قدم دمشق سنة[2] ٢٢٥ وحكى عن عيسى بن حكم الدمشقى الطبيب النسطورى . وشكلة أمّ ابراهيم بن المهدى . واسماعيل بن أبى سهل ابن نوبخت . وأبى اسحق ابراهيم بن المهدي . وأحمد بن رشيد الكاتب مولى سلام الابرش . وجبرئيل بن بختيشوع الطبيب . وأيوب بن الحكم البصرى المعروف بالكسروى . وأحمد بن هارون

---

١) كونه بغداديا مما لا يشك فيه فقد ولد ببغداد حوالى سنة ١٨٠ وربى فى دور الخلفاء العباسيين المهدى وولديه الرشيد وابراهيم ابن المهدى لان والدته كانت داية ابراهيم بن المهدى وكان هو رضيع المعتصم بن الرشيد حتى انه تزوج اليهم فانّ امرأته بنت ميمونة مولاة حمدونة أم محمد بنت الرشيد وكانت هى و بنتها بصحبته فى مصر

وقول ياقوت: «ولا أدرى كيف كان انتقاله اليها عن بغداد» . فقد تتبعت سيرته فوجدته كان يتولى كتابة اقطاعات ابراهيم بن المهدى مخدومه وكان معه (بسر من رأى) حيث يسكن ابراهيم بن المهدى الى سنة ٢٢٥ وفيها فى أوائلها أو فى أواخر سنة ٢٢٤ توفى ابراهيم بن المهدى وقد اشتدت وطأت قوّاد الاتراك فى خلافة المعتصم وضعف شأن مواليهم من العرب ومصر بلد زراعية وافرة الخراج كثيرة الاقطاعات بعيدة عن ضوضاء القوّاد وشغبهم وكان على خراجها ابن المدبر ورصفاؤه فى الكتابة فشخص اليها بعياله وحاشيته يتقبّل بها الضياع من أصحاب الاقطاعات ومن يومئذ عرف بيوسف بن ابراهيم المصرى صاحب ابراهيم بن المهدى وعاش بمصر الى بعد الستين والمائتين اهـ ملخصا من الطبرى والطيفورى وابن الاثير .

٢) قدومه دمشق سنة ٢٢٥ حكاه هو فى كتابه أخبار المتطببين وقد نزل بها على عيسى بن حكم المذكور نقل ذلك الخزرجى فى الـ جـ ١ ص ١٢١ من عيون الانباء .

الشرابى . روى عنه ابنه أبو جعفر أحمد . ورضوان [1] بن أحمد بن جالينوس . وكان من ذوى المروآت . وصنف كتابا فيه أخبار المتطببين . « قال ياقوت » قال الحافظ: وبلغنى عن أبى جعفر أحمد بن يوسف . قال حبس أحمد بن طولون يوسف بن ابراهيم والدى فى بعض داره وذكر الحكايتان الـ ١٣ والـ ٢٥ اللتان ذكرهما المؤلف فى القسم الاول من المكافأة . ثم قال ياقوت فقال : (أى الحافظ ابن عساكر):

أبو جعفر أحمد بن أبى يعقوب يوسف بن ابراهيم يعرف بابن الداية من فضلاء أهل مصر ومعروفيهم ، وممن له فى علوم كثيرة : فى الأدب ، والطب ، والنجامة ، والحساب ، وغير ذلك . وكان أبوه أبو يعقوب كاتب ابراهيم بن المهدى ورضيعه [2] ألف كتابا فى أخبار الطب . مات أحمد بن يوسف فى سنة نيف و ٣٣٠ وأظنها سنة ٣٤٠ وله من التصانيف سيرة أحمد بن طولون [3] . كتاب سيرة أبى الجيش خمارويه . كتاب سيرة هارون ابن أبى الجيش وأخبار غلمان بنى

---

١) رضوان بن أحمد هذا روى عنه كتابه الذى وضعه فى أخبار مخدومه ابراهيم ابن المهدى وعنه صاحب الاغانى وعرّفه بيوسف بن ابراهيم المصرى صاحب ابراهيم بن المهدى . راجع المجلد الـ ١٠ والـ ٤ والـ ١٤ من الاغانى .

٢) لعل ذلك سهوا فقد تقدّم انه رضيع المعتصم حكى ذلك ولده فى المكافأة ص ١١٥ .

٣) هذان الكتابان ذكرهما صاحب المُغرب عن ابن زولاق ونصه : قال ابن زولاق « كان أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم الكاتب قد عمل سيرة أحمد بن

طولون . كتاب المكافأة . كتاب حسن العقبى[1] . كتاب أخبار الأطباء . كتاب مختصر المنطق ألفه للوزير على بن عيسى . كتاب ترجمته . كتاب الثمرة . كتاب أخبار المنجمين . كتاب أخبار ابراهيم ابن المهدى[2] . كتاب الطبيخ .

قال ياقوت وذكره ابن زولاق الحسن بن ابراهيم فقال :

كان أبو جعفر رحمه الله: فى غاية الافتنان ، أحد وجوه الكتّاب الفصحاء ، والحسّاب والمنجمين ، مجسطى ، أقليدسى ، حسن المجالسة حسن الشعر ، قد خرج من شعره أجزاء . دخل يوما على أبى علىّ الحسن بن المظفّر الكرخي عامل خراج مصر مسلّما عليه . فقال له : كيف حالك ياأبا جعفر . فقال على البديهة :

يكفيك من سوء حالى أن سألت به * انى على طبرىّ فى الكوانين

آخر ما كتبه ياقوت

طولون امير مصر وسيرة ابنه ابى الجيش وانشدا فى الناس وقرأنهما عليه وحدثت بهما عنه مع غيرهما من مصنفاته ثم عملت انا مافاته من سيرتهما » . ثم ذكر الاول منهما ابن خلكان فى ترجمة احمد بن طولون . ١) كتاب حسن العقبى : ذكره الخزرجى فى الـ جـ ١ ص ٢٠٧ فى ترجمة يعقوب بن اسحق الكندى ٢) هذان الكتابان : كتاب اخبار ابراهيم بن المهدى . وكتاب الطبيخ . ذكرهما المؤلف انهما لوالده راجع المكافأة ص ١١٥ ورواهما عنه أبو على الحسن بن المظفّر الكرخى .

المكافأة

لابى جعفر احمد بن يوسف الكاتب
أحد كتّاب « الدولة الطولونية » بمصر

الطبعة الاولى سنة ١٣٣٢هـ
١٩١٤م

بنفقة المكتبة الادبية الكائنة بشارع الحلوجى بمصر
ومحمود توفيق الكتبي

عنى بتنسيق وضعه وتصحيح طبعه وتعليق حواشيه
وتفسير غريبه ، امين عبد العزيز ،

المطبعة الجماليه — بمصر

تنبيه للمطالع

أولا : ان الكلمات أو الحروف المحاطة هكذا [ ] هى بدل كلمات أكلتها الارضة من النسخة الاصلية أو لم تتبين لنا لتقطيع فيها .

ثانيا : ان الاعلام التى بازائها نجمة اشارة الى أن هذا الاسم مدرج فى فهرس الاعلام مع توضيح عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا أبو محمد عبد الله الفرغاني * قراءة مني عليه. قال : اخبرنا أبو جعفر احمد بن يوسف الكاتب ، قراءةً مني عليه . قال :

سَدّد الله فكرك ، واحسن أمرك ، وكفاك مُهمّك . انَّ أشدّ على الممتحن من محنته ، عدُوله في سعيه عن مصلحته ، وتَنكّبه[1] الصواب في بغيته ، ولكل وجهة من الجَدْوى مأتىً يستنزل به عوائدها ، ويقرب معه ما استصعب منها ، تستثيره حسن الرويّة ، [ويقرب اليه] صالح التوفيق

وقد رأيتك لا تزيد من رغبت اليه فيما تحدوهُ على برّك ، وتحثّهُ لما أغفل من أمرك ، على نصّ مكارم من سلَفَ . وتَرى انه يهش الى مُساجلتهم ، فلا يلغ في هذا أكثر من احراز الفضيلة للمرغوب اليه ، ولا يوجد في الراغب فضيلةٌ تحثه على شفيع قصده . ولو عدلت عن مكارم من رغب اليه ، الى حسن مكافأة من أنعم عليه ، لكانت لك ذرائع يمتّ[2] بها الراغب يوجد المرغوب اليه سبيلا الى الانعام .

---

١) تنكّب ونكّب ونكَبَ : بمعنى عدل وتنحى لازم متعد . ٢) المتّ : التوسل بقرابة أو حرمة .

ويفسح أمَلَه فى مواتَرة[1] الاحسان ، ولم يؤت الجود من مأتى هو أغمض من مغادرة حسن المكافأة .

ولو أنعمتَ النظر فيها : لوجدتها اقوى الاسباب في منع القاصد ، وحيرة الطالب . ولو كانت توجد مع كل فعل استحقها، لآثر الناس قاصديهم على أنفسهم ، ولجرَوا على السنن المأثورة عنهم .

[وانى أثبت] فى هذه الرسالة اخبارًا في المكافأة على الحسن والقبيح تمّ الخاطر ، وتقرّب بغية الراغب ، مما سمعناه ممن تقدمنا ، وشاهدناه بعصرنا ، وبالله التوفيق

المكافأة على الحسن

خالد القسرى وديوانيانه

١ — حدثنى أبو محمد يحي بن الفضل * عن عبد العزيز بن خالد الأموي * عن أبيه خالد* . قال: أخبرنى محارب بن سَلَمَة * كاتب خالد القسري : أنّ ديوانيان[2] خالد أخرج من ديوانه وثيقة على بعض المتضمنين فدفعها اليه بِبرّ تعجّله منه . فدعا به خالد وأمر بقطع يده

١) المواترة : المتابعة من التواتر . ٢) الديوانيان: حافظ الديوان . والديوان بكسر الدال مشددة و يفتح مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه أسماء أهل الجيش وأهل العطية . وأول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله عنه . قيل فى سبب تسميته ديوانا ان كِسرى اطلع ذات يوم على كتّاب ديوانه فرآهم يحسبون على أنفسهم فقال : «ديوانه» . أى مجانين . فسمي الموضع به . وقيل ان الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمي الكُتّاب باسمهم لحذقهم ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان .

بين يديه. فقال له : أستبقني أصلح الله الأمير. فقال : وما يكون من مثلك . فقال له : أن لم يُقدّر فى الزمان رفعتي الى منزلتك ، فلا تأمنه على حطك الى منزلتى ، فيكون مني ما تحمده . فقال خالد : أطلقوه ففيه عظيم . فلم يمض حول حتّي وردَ العراق يوسف بن عمر *متولياً لعمله ، فحبسه فى حُجْرة من ديوانه ووكّل بباب الحُجْرة جماعةً . فتدسّس الديوانيان حتّي دخل فى جملتهم وتلطّف للجماعة حتي رأَسها بالخبرة وحسن المداخلة . وتحرّم خالد طعام يوسف بن عمر خوفا من أن يكون مسموماً فطوى ، وتأمل من ذلك الديوانيان فجعل فى منديل نظيف ما يكفُّ جوعتَهُ من طعام قد تأنق فيه ، ودخل اليه كالمتجسّس عن حاله . فقال له : أنا الديوانيان الذى عفوت عنه ، وهذا طعام تأمن فيه ما تخافه فى غرة . فأقام أيّاماً يأتيه من طرائف الأطعمة والفواكه ما يسى به وحشته ، ويكف فاقته، ثم دخل اليه فقال : ليس هذا الذى أفعله مقدار ما يقتضيه إحسانك إليّ ، وقد استأجرت الدار التي فى هذه الحجرة، وأحضرت قوماً أثق بهم من حُذّاق النقّابين حتي نقبت سرَباً الى موضعك ولم يبق إلاّ أنْ تركُض بعض بلاط هذا المجلس ركضة فتفضى الى السرب . وقد أعددت فى الدار نجيبين ، احدهما لك والآخر لي. فلما صلى الديوانيان العصر أغلق الباب ومضى الى الموضع المكترى . وركض خالد الموضع وخرج من السرب وركبا نجيبيهما وحثّا المسير فما فُطن بخالدٍ الاّ فى غدِ ذلك اليوم ، فطلبته الخيل والنُّجُب

قفاتها . ولم يزل يوضع[1] في البلاد حتى لحق مَسْلَمَة* بن عبدالملك فشفع له الى هشام* وردّه الى عمله .

***

ابن مرزوق ومتضمن

٢ — وحدثني هارون* بن ملول . قال : كنت عند أحمد بن خالد الصّريفي * (وهو يتولى الخراج بمصر ووجوهها عنده) . وقد أُكتبَ على حاصل ما استخرج في أمسه ، وهو يقابل به ثبَت[2] المصادرة . فقال لصاحب حَمالتـه : ما أرى اسم فلان المتضمّن في هـذا الحاصل ، وقد صـادرنا بالأمس على خمس مائة دينار . فقال : ماصحّ له شيء . فقال : أبعث اليه من يسحبه صاغرا حتى يحمله على خُطة المطالبة . فقال له رجل من المتضمنين يعرف بماشـاء الله بن مرزوق : الخمس المائة أيّدك الله تصحّ لهذا الرجل في هذه العشية إن شاء الله ان اعفى ممّا قد أمرتَ به فيه . فقال: هي عليـك . فقال : نعم . فتقدّم الى صـاحب الحَمالة الاّ يعرض له . فالتفت اليّ ما شـاء الله . فقال : تعرف هذا الرجل . فقلت : نعم ومن العجب ألاّ نعرفه . فقال : يا أخي أمر في رجل يجري مجرانا في معاشنا بما لم أطق والله احتماله وعندي ضعف ما طولب به ، وكانت صيانته أحبُّ اليّ ممّا حويته . فاذا لقيته فعرّفه اني اورّد المال عنه لئلا يورّد المال مضعفًا . وانصرفت من مجلس أحمد بن خالد . فلقيت الرجل في طريقي وهو مجدود[3] فسألته عن خبره وأخبرته الخبر . فقال

---

١) الوضع: الاسراع . ٢) الثبت: الدفتر . وقوله (صادرنا) أي صدرنا عنه على ان يعطينا الخ . ٣) المجدود: المقطوع .

يا أخي وما في هـذا من الفرج ، انما انتقلت من غم الى رق . ومتى أقضي الى هـذا الرجل احسانه اليّ . والله لوددت ان أمر السلطان نفذ فيّ ولم أحمل هـذه العارفة فيه . قال أحمد بن يوسف فقال لي هارون :وحضرت [بيت] ماشاء الله بن مرزوق بعد هذا بأربع سنين في الوقت الذي توفى ، فاتفق ان كان الى جانبي رجل قد ألقى بعض ردائه على وجهه وهو يعج بالبكاء والشهيق . ثم كشف وجهه فكان الرجل الذى أورد ماشاء الله عنه الخمس مائة الدينار . فقال: من الوصي من جماعتكم ؟ فقال له الوصي : ها أنا ذا . فقال : عندى لهذا الرجل رحمه الله ألفا دينار وخمس مائة دينار . فقلت له : حدثت بينكما معاملة بعدي . فقال: لا والله ولكنها الخمس مائة الدينار صرت بها اليه عند تيسرها فقال : وما [اعمل بها] تكون عندك الى أوان حاجتي اليها . فسألته [الاذن] في شغلها . فقال:هو مالك اعمل به ماشئت . فلم تزل تنمي وتزيد حتى بلغت هـذا المقدار . فقال هارون : ووجدت ماخلفه ماشاء الله لبنات كنّ معه شيئاً نزرا فجبرهنّ الله بذلك المال .

***

ابن دعيم واعرابي

٣ — وحدثني احمد بن دعيم * (وكان من خاصة قوّاد احمد بن طولون * بعد أن ترك الديوان وحسنَ انقطاعه الى الله). قال : قلدني احمد بن طولون الصعيد الأوسط ، وخرج عليه سوار * أبو عبدالرحمن القرني فكتب اليّ يستخبرني عن حاله . فاعلمته ضعف يده ، وانتشار

أمره بقلة المال، وقبضت على رئيس من الأعراب اتهمته بمكاتبته وانهيت خبره اليه. فكتب الى أحمد بن طولون: يأمرني بحمل الاعرابي [وقيادة] ما قدرت عليه من النجب والشخوص اليه ليقف من مشافهتي على مالا تبلغه المكاتبة. فامتثلت أمره، فما سرت رحلة[1] حتى لحق بي وجوه تجار العمل ومعهم شاب أعرابي. وقالوا لي: جئناك في أمر هذا الأعرابي المحمول فانّ معنا من يبذل في اطلاقه خمس مائة دينار. فقلت لهم: قد أنهيت أمره الى الأمير. فقال الأعرابي الذي معهم: نخذ الخمس مائة على أن تجعلني مكانه. قلت: أفعل. فاحضرت الأعرابي وكان من عشيرتي، فقلت له: والله لقد كنت مغموماً بك حتى سرني خلاصك. قال: بماذا تخلصت. فقلت: بذل لي رجل خمس مائة دينار على أن يكون بمكانك وأطلقك. فقال ومن هذا الرجل؟ فاحضرته اياه فلمّا رآه قالَ امض لشأنك. ثم التفت اليّ فقال: «يَحْسُنُ بشيخ مثلي ان يتربّح في المعروف، هذا رجل لقيته وقد اكبت عليه خيل لتسلبه ثيابه وما كان معه ففرقتها عنه حتى تخلص، فرام أن يخلصني بحصوله في موضع لا يخرج منه أخرى الليالي، وغرم ثقيل على مثله، وليس هذا مما لا أقبله ولا أركن اليه». فقلت له: انصرف في حفظ الله فقد رضي الرجل. فقال: والله لئن امضيت هذا لالحقنك ولأخبرنّ الامير بصنيعك. فتوقفت وبكى الاعرابي فقال: اذا كان محبس الأمير على ما تصف وليس ترجو خلاصا

---

١) الرحلة: المرحلة الواحدة كذا وجدتها في الاصل بفتح الراء. وفي القاموس: الرحلة بالضم والكسر أو بالكسر الارتحال وبالضم الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة

منه فما أعمل فى عارفتك عندى ، وانا أنشدك الله لما قبلت منى مابذلته وأعظم منه،وازلت هذه العارفة عن عنقى فانّ عارا ونقيصةً على الكريم أن يموت وعليه دين من ديون المعروف . فقال له : اذا رأيت رجلا احاطت به خيل تريغ [١] سلبه فذدتها عنه فقد كافأت عارفتى، انصرف مُصاحبا . فعرض عليه مامعه من المال . فقال: مابى اليه حاجة فا كبّ على رأسه ورجليه يقبلها ويبكى . فابكى جماعتنا

فلمّا دخلتُ على أحمد بن طولون شافهته من خبر العمرى [٢] بما سرّه . وعرضت عليه النجب . فقال : حسنة والله . فقلت: معي أيها الأمير ما هو أحسن من هذا وحدثته الحديث، فأحضر الأعرابى وخلع عليه وأثبته فى ديوانه وأمرنى بانفاذ رسولى معه فى الأعرابى الآخر، فلمّا وافى خلع عليه وأثبته فلم يزالا فى خاصته الى وفاته .

***

ابى مصلح ومحبوس

٤ — وحدثنى موسى بن مُصلح المعروف بأبى مصلح (وكان هذا من الثقات عند أحمد بن طولون) : أنّ أحمد كان يراعى أمر المحبوس حتى يمضى له حول فاذا جازه لم يذكره . وكان يقول لى سرًّا : اذا تبينت من رجل براءة ساحة فسهّل عليه واستأمرني فانى استعمل التشدّد للضرورة اليه . قال موسى بن مُصلح : وكان فى الحبس رجل قد زاد على سنتين منقطعا الى الله برغبته لا يسئلنا شيئا من أمره وهو يكبّ

١) تريغ : أى تطلب من قولهم راغ الثعلب روغانا . ٢) تقدم أنه القرنى .

على الصلاة والتسبيح والتضرّع الى الله .

فقلت له يوما : الناس يضطربون فى أمورهم ويسئلونى اطلاق الرقعة الى ذوي عناياتهم وأنت خارج عن جملتهم . فجزانى خيراً ورقّ قلبي عليه وكبُر فى نفسي محلهُ . فخلوت به وقلت له : لواستجزت اطلاقك بغير اذنٍ لفعلتُ ، ولكن استعن بى فى أمرك . فقال: والله ماأعرف في هذا البلد غير أبى طالب * الخليج (وكان هذا الرجل يتولى شرطتى أحمد بن طولون بمصر). ولو وصلت اليه سراً أو برسالة ممن يفهم لرجوت تسهيل أمرى . فقلت له : والله لآتين فى أمرك ما أخطر به على نفسى ، أنا اطلقك سراً على أن توثقنى بأيمان محرّجة انك لا تهرب عنى ، ولا تخفرنى [1] . فقال : اذا كنت عندك بمنزلة من يُشك فيه فلاحاجة لى باخراجك إياى ، فوافقته من غير يمين ارتهنته بها على أن يقيم ثلاثة أيام ، فأطلقته ليلة الجمعة وفارقته على أن يصير اليّ ليلة الاثنين . فلمّا كان سَحَر يوم السبت وافانى كما فتحتُ باب السجن ، فلمّا دخل سَجَد وحمد الله. وقال لى : بعثت الى أبي طالب الخليج امرأةً من أهلنا وطويت عنه اطلاقى وسألته أن يلطف فى أمرى . فوعَد بذلك وخلف المرأة حتى ترجع اليّ بالجواب. وركب الى الامير عشيةً الجمعة فأقام الى قريب من العتمة ، ثم انصرفتْ اليّ المرأة فقالت: وافى أبو طالب الامير وهو مغموم . فقال لى كلمته فيه فقال : والله لقد أذكرتنى

---

١) الخفر : نقض العهد والغدر .

رجلاً يحتاج الى عقوبة. ثم تقدّم الى رجل أن يصير بك اليه عند جلوسه في يوم السبت، ووجه اليّ ان أرجع الى الله عز وجل في أمرك فليتني لم اتكلم فيك. فسحرت مما تيقنته في أمري خوفاً أن يأتيك رسوله فلا يجدني فيلحقك مكروه منه. ورأيت كلما يوعدني به اسهل عليّ من أن أخفر ظنك بي، وتقديرك فيّ. فما ترجّل النهار حتى وافى الرجل فتسلمه مني وحضرت الدار، وقد احضره احمد بن طولون ومجلسه بين الخاص والعام. فلمّا رآه بكّته بالاجلاب عليه في الثغر. فاعتذر بعذر قبله ولقيه بالرأفة بضدما خفته عليه وأطلقه. فكان من آثر اخواني عندي الى أن فرقت الايام بيني وبينه.

* * *

ابن أسباط والخناق

٥ — وحدثني عمي اسحاق بن ابراهيم. قال: انتظرت اباعبد الله الواسطي * كاتب احمد بن طولون في داره حتى رجع من عند احمد احمد بن طولون. فأوصل اليه بعض الحجّاب ثبت من وقف بالباب فرأى فيه اسماعيل * بن اسباط، فسأل عنه. فقيل له: وقف بالباب طويلا وانصرف. فقال: انّ هذا الرجل ممن عمد هذه المنزلة مدةً طويلة ولست أشك انّ مجيئه لحاجةٍ له، ومن الجميل أن اركب اليه فاقتضيه حوائجه وابلغ فيها محبته، ثم ركب وسرت معه حتى دخلنا دار اسماعيل ابن اسباط (وهي التي ملكها الشير بعده) فرأينا داراً عارية من الستور والفرش، وتأملنا من فيها من الحشم على حالٍ سيئةٍ، فاستقبله اسمعيل

بالشكر والدعاء له . فقال له الواسطى : « انه لا فرق بينك الساعة عندى فى المرتبة التي كنتَ فيها ومن جمالنا[1] . فما أفضى الينا أن نحسن فيه خلافة من تقدمنا ، وأن نراهم كالآباء المستحقين البرّ من أولادهم » وسأله عن حاجته . فقال : أخبرك بها بعد أن أحدثك بشيء يدل على أن المعروف ينفع عند مستحقه وغير المستوجبين له

كانت لى[2] ايدك الله دار خيل نحو المنظر ، وكنتُ اركب اليها فى غداة اليلة التى اعاقر فيها اخوانى . فركبتُ اليها يوما فالقيت فى الصّحراء جمعا من العامة وقد ضاقت بهم ومعهم عامل المعونة واستقبلتنى امرأة قد هتكت سترها ، وكشفت شعرها . فقالت : ياسيدى اخي و واحدي وكافلي يعرض على القتل الساعة ، فعدلت الي صاحب المعونة وسألته عن حال الناس . فقال : اجتمعنا لضرب خنّاق بالسوط . فقلت له بحضرة الناس : ماحق هذا لا الاحراق بالنار ، وانا اكتب فيه الى السلطان فاعلن الجميع بالدعاء لى وانصرفوا . فسألته البعثة بالخنّاق اليّ فوعدنى بذلك فى المساء ، فلمّا صليت عشاء الآخرة انفذ الي منه شابا مكفهرّ الوجه لا تخفى قسوته . فقلت له : أما تستحى من الله وتخافه فى طعمتك . فقال ياسيدي : أنا أشهد الله انى لا أعاود هذا الفعل أبداً فاوصيته بخير واضفت اليه من أخرجه عن البلد فى حال ستر وأقمنا بعد ذلك سنين . وتقاصرت أمورنا وتغيرت أحوالنا بتقليد اسحاق بن

---

١) كذا فى النسخة ولم يتبين لى وجه المعنى . ٢) فى الاصل : كانت له وقوله أعاقر فيها اخوانى : أى اجتمع معهم فيها مع الملازمة لهم .

تميم علينا . فلماً بلحنا[1] بما نطالب به أشخصني وأخي أحمد الى الحضرة فطالبنا الوزير بما القفه ابن تميم علينا ، فشكونا اليه شدة اختلالنا . فقال: فلان . فوافاه رجل بمنزلة أثيرة[2] عنده . غليظ الطبع ، كريه الوجه ، تتأمل الشر فى سجاياه . فقال: استخرج من هذين مائة ألف دينار اليوم . فانتزعنا من بين يديه بفظاظة ايقنا بالهلكة ، ثم صار بنا الى حجرة له فى دار الوزير . فسألنا عن بلدنا ونسبتنا فلما سمع اسباط سكن فوزُه ورق قلبه . وقال: من تكونون من اسماعيل . فقلت : انا اسماعيل فبكى وانكب على رأسي ورجلي . وقال لى : ياسيدى اتعرفنى ؟ قلت لا . قال انا الخناق الذى أطلقتنى بمصر . ووالله ماخنقت أحداً بحمد الله بعد اطلاقى ، ولكن شراسة طبعى عدلت بى عن الزهادة الى مادون الخنق ، وهو استخراجى للوزير الاموال بالتعذيب ، وقد وجد عندى فيه مالم يجده عند غيرى . ثم طعن فى تلك الحجرة فاخرج اليّ صندوقا يحمله غلامان . فقال : فى هذا من المال والحلى مانكتفى به فقوموا بنا حتى نهرب لئلا يقع بكم بأس . فاعلمته انا نخاف فى الهرب تتبع الولد والاهل . فرجع الي الوزير يبكي بين يديه ويحدثه محلنا كان وما أوليناه . فعجب الوزير من رقته علينا لما وقف عليه من فظاظته وكان شهد الله أقوى الاسباب فى دفع المطالبة عنا .

ثم سأل أبا عبد الله الواسطى بعد هذا الحديث : حوائج وقع بها

---

١) بلحنا : أى اعيانا من بلح الرجل . ٢) الاثيرة : العظيمة .

في مجلسه ، ووكّل بها متنجزاً من خاصته ، ولم تزل ألطافه تعتاده الى أن توفى .

*
**

محمد بن على ومسلمة

٦ — وحدثني يوسف* بن ابراهيم والدى. قال حدثني ابراهيم بن المهدي* عن اسحاق بن عيسى* بن عليّ بن عبدالله بن العباس عن أبيه : انه كان مع أبي عبدالله محمد* بن عليّ أبي الخلفاء برُصافة هشام بعد وفاة أبي محمد على بن عبد الله ، وانه أقام ثلاثة أشهر برُصافة هشام لا يأذن له هشام* عليه ، الى أن بلغ أبا عبدالله :اجماع مسلمة القُدوم على هشام. فتلقّاه على أميال من الرصافة وشكى اليه جفوة هشام وتأخيره الاذن عليه . فقال له مسلمة : أرجو أن يزول هذا بقدومى وأمره أن يقيم بباب هشام اذا دخل عليه مسلمة ،ولا يُريم ما أقام مسلمة عنده ، فأقام أبو عبد الله الى وقت زوال الشمس . قال عيسى بن على فخرج مسلمة اليه . فقال له : قوّض رحلك أبا عبد الله فما لك عند الرجل من خير ، لانى خاطبته فى أمرك بعد ما تقضّى سلامى عليه : « محمد بن على بن عبد الله على شابكة رحمه برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقيم ثلاثة أشهر ببابك فلا يؤذن له عليك » . فقال :«ألْهُ عنه أبا سعيد». فأمسكت حتى حضر الطعام، فأعلمته انى لا أستجيز الأكل وانه قائم على الباب،فغضب غضبا زاد به حَوَله . وقال :« يسمى ابنيه عبدالله وعبدالله ويرجو بهذا أن يليا الخلافة ثم يطمع فى خير منى ، والله لولا ماسة

رحمه برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقطعت من وسطه شبرا[١] »
ثم عانق أبا عبد الله . وقال : رسولى اليك صائر ، فرجع أبو عبد الله الى
رحله فقوّضه وبقى فى حيرة لعجزه عما ينهضه، ووافاه رسول مسلمة
يقول : لم أقدّر فى سفرى هذا طول اللبث . وأشهد الله اني ما حملت معى
الا ألفا وثلاثمائة دينار وقد وجهت اليك بالالف وخلفت الثلاثمائة
لنفقتى . قال ابراهيم بن المهدي: فحدّثت بهذا الحديث الرشيد* فى حديثة
الموصل فبكى . وقال : «وصلت أباسعيد رحم» . والله لادخلت الرقة حتى
تُقضى عارفته عندنا . فلما وافينا حصن مسلمة أحصى من فيه من ولده
الذكور والاناث فوجدهم أربعين ، فأمر لهم بأربعين ألف دينار .

***

ابن نصير والورّاق

٧ — وحدثني احمد بن * وليد . قال : ودعت اسحاق بن نصير
العبّادى* في بعض خرجاتى الى بغداذ، فأخرج الىّ ثلاثة آلاف دينار[٢]
وقال : اذا دخلت بغداذ ، فادفع ألف دينار الى ثعلب* ، وألف دينار
الى المبرد* وصر الي قصر وضّاح فانظر الى أول دكان للورّاقين فانك
تجد صاحبها (ان كان حيا لم يمت) قد شاخ فاجلس اليه وقل له : اسحاق
ابن نُصَير يقرأ عليك السلام وهو الغلام الذى كان يقصدك كل عشية
راجلا من دار الروميين بدرّاعة وعمامة ونعل رقيقة فيستعير منك
الكتاب بعد الكتاب فاذا اقتضيته كراء ما نسخ منه . قال: اصبر علىّ

---

١) يعنى : خصيته ٢) في الاصل : ثلاثة ألف دينار

الى الصنُع ، فاذا استقرت معرفتي في نفسه دفعت اليه هـذه الالف دينار [1] وقلت له : هذه ثمرة صبرك عليّ .

قال لي احمد بن وليد : فلما دخلت بغداد ودفعت الالفي دينار الى ثعلب والمبرّد ومضيت الى قصر وضّاح فالفيت الدكان التي وصف لي قفرا ليس فيه كتاب . ورأيت فيها الشيخ الذى وصفه لي في حالٍ رثّةٍ، وثياب خَلِقَةٍ ،وقد أفضى به الامر الى التوريق للناس . فجلست اليه وسألته عن حاله . فقال يا أخي : ماظنك بحالٍ ماتتأمله فيّ أحسن مافيها . ثم خرجنا الى المسألة الى أشياء كان فيها خبر اسحاق بن نصير . فقال : قد كان يجيئني من دار الروميين غلام ووصفه فاسمح له بالنسخة بعد النسخة يقال له: اسحاق، وكان يعدني في كل شيء يأخذه الى الصنُع، واخبرت انه وقع بنواحي مصر وما حصل لي منه شيء . فأخرجت الالف دينار وقلت له يقول لك : «هذه ثمرة صبرك» . فكاد والله يموت فرحا . فقلت له: ليست دراهم وهي دنانير وانصرفت عنه وهو أحسن من في سوقه حالا . قال لي أحمد بن وليد: واجتزت بعد ذلك فرأيت دكانه معمورة ، وهو متصدّر فيها على أحسن حالٍ وأوفاها .

***

ابن الزنق والقائد

٨ — وكان بنحو دار العنقود شيخ يتنخس [2] في الدواب، يعرف بابن

---

١) في الاصل : هذه الالف الدينار ، وكذا قوله : فأخرجت الالف الدينار .

٢) النخاس : بياع الدواب والاسم النخاسة بالكسر ويتنخس يتجر فيها .

الزنق قد لحق بمصر أكابرها، ورأيته فى أيام احمد بن طولون قدعلتْ سِنّه، وضعف عن التصرّف . وكان له ابن أخت خفيف الروح، مقبول الصورة، حلو الالفاظ، يتنخس فى الدّواب. نخف على قلب القاسم ابن شُعبَة * وكان شعبة من أكابر أصحاب احمد بن طولون وماتَ فى طاعته . فرد الى القاسم ابنه احدى الشرطتين بمصر فانصرف ابن أخت ابن الزنق من عند القاسم وقد خلع عليه دُراعة خزٍ من تحتها جُبّة ملحم . فنظر اليها خاله ابن الزنق . فقال : ماهذه الخلعة الرائعة . فقال : خلعها علىّ القائد (يريد القاسم بن شُعبَة) . فقال : يابُنىّ ان كنت تصبر على التدلى معه فى محنه، كما تتدلى فى نعمه، والاّ فاعتزله ولا تفضحنا بالقعود عنه فى نوائبه . فقال : أرجو أن يصونه الله وما أنعم عليه به من نائبة تلحقه، أومكروه يقع به . فقال : وانا أرجوهذا أيضا له ولكن ينبغى ان لاينسى نصيبه منك فى الشدّة، كما غنى بك فى النعمة . واتصل باحمد بن طولون عن القاسم بن شعبة شىء أنكره فحبسه ووكّل بداره جماعةً ، واختفى النخاس فى دار خاله ، فسأله بعد يومين عن سبب ملازمته المنزل . فقال : وجدتُ علّة الى أن اتصل الخبر بالشيخ فدخل الى ابن اخته فقال: قبحك الله، سرقت معروف هذا القائد وخليته يقارع شجوه بمحنته ، واسرج حمارا له وركبه وجيرانه يناشدونه الله الا يفعل . فقال : والله القتل أحسن مما أتى به هذا الوغد ، ثم قصد دار القاسم بن شعبة وعليها جماعة من الموكّلين وأصحاب الاخبار . فوقف على الباب

فقال : كيف حال القائد ابى محمـد ايده الله . فقالوا : امض ياشيخ .
فقال : ماامضى حتى ابلي عُذرا ، هذا رجـل قدلزمتني له عارفة وهذا
أوان قضائها. فوقع خبره الى احمد بن طولون فاحضره وقال : ماكنت
تَعمَله للقاسم بن شعبة . قال أو لانى فى بعض اقاربى جميلا فانتصبت
الساعة لما يحتاج اليه . وما أحق الامير ان يفضُلنى بحسن المكافأة عن
طاعة والده له . فقد كان مشهورا بها .

فحدثني أبو العباس الطرسوسى * أنّ أحمد بن طولون قال له فى هذا
المجلس : «ما أحسـن ما أهتدى هذا الشيـخ الى اذكاري بحق قاسمٍ
وعطفى عليه » . ثم أحضر القاسم بن شعبة وخلع عليه خلعة رضيّ وصرفه
الى منزله. وعدل الشيخ ولم يدخل معه داره وانصرف الى بيته وقدقام
بما قعد عنه ابن أخته.

***

هارون بن ملول وابن تميم

٩ ــ وحدثني هارون بن ملول . قال : لمّا مات أبى ورثت منه
مالا جما ، ومستغلات نفيسة، وكان يقصرني على زي التجار ، ويمنعني من
التخرق[1] والسرف في الهيئة . فعمدتُ الى أثواب وشي سعيدى[2] كانت
في المتاجر التى خلفها والدي فقطعتها . وقطعت لخدم ارتبطهم للتجارة

---

١) التخرق فى السخاء : التوسع فيه . قال الشاعر :

فتى ان هو استغنى تخرق فى الغنى * وان عض دهر لم يضع متنه الفقر

٢) وشى سـعيدى : هى ضرب من برود اليمن تعرف بالسـعيدية . منسوبة الى
سعيد بن العاص .

من الملحم والديباج مالا يتسمّح به أحد من أبناء الترفه وجلست في الوشى وقام الغلمان بين يدى فيما قطعته لهم . ووافانا اسحاق بن ابراهيم مفتقداً ، فتأملنى فقال : لقد سرني بُعْدُ تيمتك [١] وحسن زيك ، بارك الله عليك ، وأحسن اليك . ثم وافا جماعة من اخوان أبي وأصفياؤه فوالله ما أنكر عليّ واحد منهم ما خرجت اليه من زي أسلافي . فلمّا كان في عشي ذلك اليوم وافاني رسول اسحاق بن تميم [٢] : «عندى من لا تحتشمه فتؤنس جماعتنا بحضورك فقد أعجبني اليوم حسن زيّك » . فزدت في الخلعة وركبت ، فلمادخلت اليه لم أفقد عنده أحداً من إخوان والدى ، فلمّا توسطت الصحن ابتدرني الغلمان وصاح بي اسحاق : « توهم ياجاهل انّ أباك مضى واسترحت ، ولا تعلم انّ أباك خلّف لك هؤلاء الآباء بأسرهم يردونك عن الخطإ باليم العقوبة ولا يشفمون في مصلحتك من عظيم ما كان أبوك يرق عنه فيك» . ثم بُطحت في وسط الدار ، فصحت بهم ياساداتي: والله ما قُرعت قط بمقرعةٍ . فقال اسحاق : « ولا أُتيت بمثل هذا الفعل » . وضُربت ضرباً مبرّحا ولم ترفع المقرعة عنى حتى حلفت لهم ألاّ أزيد على معرض والدي واقتصاده ، فأقمت على هذا الى اليوم . وما زال عنه الى أن توفى .

***

---

١) كذا أعجمت في النسخة بخط مفارق للاصل . ولعلها بعد تيمنك .

٢) هو اسحاق بن ابراهيم بن تميم .

المؤلف وأعراب من القيسية

١٠ — ولما استفحل أمر ابن الخليج * انحازعنه جيش مصر الى الاسكندرية وخلا الفسطاط منهم وكنت بمدينة اهناس واضطربت النواحي واحتجت الى مشاهدة الفسطاط . فتخفرت بأربعة نفر من القيسية دفعت اليهم عشرين ديناراً ، وخرجت معهم فأحسنوا العشرة ، وأجملوا الصحبة . وكنا لانجتاز بحيّ ولا جماعة إلاّ كفونا مؤنة كلامهم ، وصدفوا عنا بأسهم . ولم نزل كذلك دأبنا حتى بلغنا قصر الجيزة . فأقبلت رعلة[1] من الاعراب قدّرتُها برأي العين خمسين فارسا كانت من غير حيّهم . فصممت نحونا برماحها ، وعملت على نهبنا وقتلنا ، ورأيت الموت في أسنتهم . وأحسن الأربعة الذين تخفّرنا بهم لقاءها والتضرع اليهم ، وناشدوهم الاّ يخفروا ذمتهم ، وأجملوا التأنى حتى انصرفوا . وجددنا فى السير حتى انتهينا الى حيّ المخفرين لنا . فقال المخفرون : قد بلغت الى من تأمنه فحط رحلك فما تستقل دوابك الزيادة على هذا السير . فنزلت وتقدمت الى الغلمان فى اطعامهم ، ولم أجد للطعام مساغاً من فرط مالحقنى من الرّوع ، وعملت فى المخفّرين هذه الأبيات :

جزى الله خيراً معشراً حقنوا دَمي　　وقد شرعتْ نحوي المثقّفة السُّمْرُ
دراهمهم مبذولة لضيفهم　　وأعراضهم من دونها الغفر والستر
اذا ما أغاروا واستباحوا غنيمةً　　أغارَ عليهم فى رحالهمُ الشكرُ
وان نزلوا قُطْرًا[2] من الارض شاسعاً　　فما ضرّهُ الا يكون بها قَطرُ

---

١) الرعلة : اسم كل قطعة متقدمة من خيل ورجال وطير وغير ذلك .
٢) القطر : الناحية والجانب من الارض والاقليم أيضا .

فلحظني واحد منهم وأنا أكتبها ، فظنّ أني أكتب الى السلطان فأشتكي ما كان من الفرسان الذين لقونا بقصر الجيزة . فقال : قد سلّمك الله من أولئك القوم ، وقد أحسنوا الينا في حسن الاجابة لنا فلا تكتب فيهم بشيء . فقلت : والله ما كتبت فيهم ولا في غيرهم الى السلطان بشيء . فقال لى شيخ من المخفرين (وقد قرب مني) : فما تكتب . قلت : أكتب أبياتاً مدحتكم فيها . فقال : «وانك لتقرضُ الشعر» . قلت : نعم . قال : انشدني على اسم الله ، فأنشدته إيّاها . فقال : «برّك الله ووصلك» . ثم صاح بالثلاثة ، فلمّا اجتمعوا أنشدهم اياها فما خرم شهد الله حرفا واحدا ، فعجبت من حفظه لها ولم أُعِد عليه حرفا منها وتبيّنت الفرح في سائرهم ، وحفظوها بأجمعهم . ثم صاح بهم الشيخ : «ماتنتظرون ، ارحضوا [1] السوءة عنكم» . فأدخلوا ايديهم في جيوبهم وجمعوا شيئا أخذه الشيخ منهم . ثم قال لى : قد شكرنا صنيعتك والله لا نجمع بين شعرك ووَفرك ، ووضع العشرين الدينار بين يديّ ، فأكبرت ذلك وأعظمته . فقالوا : لى الصواب الا يعلم بها عشيرتنا فيرجع عليك منها أكثر مما خفته ممن لقيك بقصر الجيزة ، وركبت فسرت مع جمع كثير منهم وهم ينشدون تلك الابيات . فالتمست أن يقبلوا مني برّاً فلم أصل الى ذلك ، ورأوا ان الشعر أحسن موقعا مما ملكته .

***

المؤلف وعباسي

١١ — ونزل في حارتنا غلام أمرد تأخذه العين وكنت أسلّم عليه

١) أرحض الثوب : غسله والمعنى كافئوه على معروفه

اذا اجتزت به كما أفعل هذا بغيره من جيرتى . فانصرفت يوما الى منزلى فوجدته قائما على بابه فدفع الىّ رقعة يذكر فيها انه عباسى من ولد المأمون ويسألنى فيها برّه، ودخل من كان معى بدخولى، فقضيتُ شغلى بالجماعة حتى انصرفوا . ووضعت المائدة بينى وبين العباسى فأكلنا وهو يتأملنى فلا يجد فىّ شيئا قدّره . فلما غسل يده دفعت اليه ثلاثة دنانير واعتذرت اليه من تقصيرى في حقه وانصرف وقد رأيت تبجيلي فى حماليق عينيه .

فلمّا كان بعد ذلك بسنيات[1] وأنا فى ضياع تقبّلتها ولى فيها غلّة بمالٍ جسيم فخفت أن أدخل الفسطاط فتخرب الضياع وتتعطّل عمارتها فكنت أكمن نهارا فى بعض منازل الفلاحين وأظهر ليلا فأعقد منها ما تهيأ لى عقده . فانى لكامن فى يوم من الايام حتى سمعت رَجّة شديدة فدخل الىّ بعض غلمانى . فقال : دخل أصحاب دُميانة * الضيعة وعملوا على نقل الغلاّت، وأيقنت بتلف أكثر ما أملكه، ثم سكنت أصواتهم ودخل الىّ غلامى . فقال لى : يامولاي كانت هذه الضياع قد أشفت[2] على نقل ما فيها، حتى نظر الىّ العباسى الذي كان فى جوارنا . فقال لى : ألست غلام أحمد بن يوسف . قلت نعم . قال : فهذه ضياعه قلت نعم . فصاح بالجماعة التى دخلت من أصحابه دُميانة : « أخرجوا بأسركم عنها » . فخرجوا ثم قال لى : قل لمولاك ياسيدي محلى عند الامير

---

١) تصغير سنوات وأراد به القلة . ٢) اشفت مثل شفت : أى قاربت .

دميانة محل الاخ ، فاظهر واركب اليه فقد آمنك الله على نفسك ومالك فسألت الغلام ما كان زيه . فقال : كان عليه كساء صوف مما ينام فيه وتحته خفتان . فأحضرت بعض مشائخ الضيعة وحملت معه اليه دُرّاعة خزّ كُحليّة ومطرف خز وخمسين دينارا وسألته أن يقبل ما يحتاج اليه من ناحيتي . فقبل الدرّاعة الخزّ ورد المطرف والدنانير . وقال لرسولى: « والله للثلاثة الدنانير التي وهبها لى لشر فى لا لشئ مما ظننته به ، أحسن موقعا عندى مما رددته اليه ، فكثّر الله فى الناس مثله » .

فلم يزل عَضُدًا لى وستراً علىّ حتى انصرف دميانة عن الناحية .

***

يحيى بن نجه والرخجى

١٢ — وحدثني يحيى بن الفُضَيْل * عن يحيى بن نجه * (وكان هذا الرجل حسن الكتابة) . قال : ترددت الى عمر بن فرج * الرخجى مدة فدخلت عليه فى يوم من الايام . فقال : قد أنضيناك قد أستتمت في هذا اليوم سنةً ووقّع لى بتقليد عمل سنى ، واضطربت فيما احتاج الى التجهّز به . فلما لم يبق علىّ الانص[1] ركابى ، برّزت ظهري وثقلى ووقفت على باب دار أمير المؤمنين المنتصر أنتظر توديع عمر والخروج الى عملى ، فرأيت غلمان عمر يتسللون ، فسألت عن السبب فقيل لى سخط أمير المؤمنين على عمر . فحرت وخفت أن أرجع الى منزلى فأخسر جميع ماأنفقته ، فانى لفى تلك الحيرة حتى خرج عمر بن فرج

١) نص ركابى : النص هنا بمعنى الظهور .

ومعه رجل من شيعة بني العباس . فقال لى: «أين كل من كان معى» .
فقلت: تسللوا للحادث. فقال: وقد وكل بى هذا الشيعى على أن ينفينى
الى بلاد الترك ولم أعُدّ شيئا ولا أجد من يُعده لي . قلت: هذه قبة وظهر
تُقلك وأنا أصحبك شكراً على ما أسلفتنى من التقليد . فركب القبة
وأحضر الشيعى قبة له وركبنا وأنا اعادله وانتهى المسير بنا الى خراسان،
وكنّا لا نُفضى من بُلدان خراسان الى بلد إلا وجدناه أغلظ طبعاً من
البلد الذى فارقناه حتي بلغنا بُخاراء، فرأينا قوما فى نهاية من غلظ الطباع .
فقال لى : مَنْ رآنى أتعجب منهم ؟ كيف لو رأيت الترك وبلدانهم يقتلون
المستجير بهم ويغير بعضهم على بعض فيهلك النازع اليهم بينهم. فزادنى
هذا القول تهيبا للسير معه ثم ملكت ما استغرب منى وتماسكتُ وجدّ
بنا السير عن بخارا الى أرض الترك وانى معه فى القبة وهو يحدثنى
بشئ قد شغلنى عن تبينه مايقلقنى من ركوب مااقدمتُ عليه من الخطر ،
حتى سمعنا حلق البريد، فتشوفنا لها ووافى بها رسول أمير المؤمنين
وكتابه بما أمره بالحضرة من الرضا عنه وردّه الى مرتبته ويأمره
فيه بكشف مدن خراسان وتجريد عقودها على أصوب ما استقرت
عليه، واستثارة التوفير بها والزيادة فيها . فلما استتم قراءته حمدالله وألقى
الكتاب الىّ . وقال: بارك الله لك فى الخلاص وهناك المزيد ، ورد
الىّ تأمل ماأمر به أمير المؤمنين من كشف عقود النواحى فانصرفت
الى منزلى بمائة ألف دينار مع ارتهان شكر العاملين واحماد السلطان .

***

والد المؤلف ومصطنعيه

١٣ — وحدثنا أحمد بن يوسف [1]. قال: حبس أحمد بن طولون يوسف بن ابراهيم والدى فى بعض داره. «وكان اعتقال الرجل فى داره يؤيس من خلاصه، فكاد ستره ينهتك لخوف شمله عليه. وكان له جماعة من أبناء الستر يتحمّل مؤنها مقيمة عليه لا تنقطع الى غيره. فاجتمعوا وكانوا زهاء ثلاثين رجلا، فركبوا الى دار أحمد بن طولون فوقفوا بباب له يعرف بباب الجبل [2] واستأذنوا عليه، فأذن لهم فدخلوا اليه وعنده محمد بن عبد الله بن الحكم وجماعة من أعلام مستورى مصر، فابتدروا كلامه بأن قالوا. قد اتفق لنا أيّد الله الأمير من حضور هذه الجماعة مجلسه [3] مارجونا أن يكون ذريعة الى ما نأمله، ونحن نرغب الى الأمير فى أن يسألها عنا ليقف على منازلنا. فسألهم عنهم. فقالوا: «قد عُرضت العَدالة على أكثرهم فامتنع منها». فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس وسألهم تعريفه ما قصدوا له. فقالوا: ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما أمر به فى يوسف بن ابراهيم لأنه أهدى الى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يقدّمنا الى ما اعتزم عليه فيه. ان آثر قتله أن يقتلنا،

---

١) أورد هذه الحكاية ياقوت فى معجم الادباء عن رواية الحافظ ابن عساكر فى ترجمة المصنف ج ٢ صحيفة ١٥٧. قال الحافظ (يعنى ابن عساكر): وبلغنى عن أبى جعفر أحمد بن يوسف. قال: حبس أحمد بن طولون يوسف بن ابراهيم والدى الى آخر الحكاية. وفى بعض ألفاظها اختلاف أكثره تحريف من الناسخ. ٢) فى الاصل هكذا: بباب الجبل. وفى المعجم بباب الخيل ٣) فى المعجم بين دائرتين (وأشاروا الى ابن عبد الحكم والحاضرين مجلسه).

وان آثر غير ذلك أن يسلف بنا ، وهو فى حلّ وسعة منه . قال : ولم ذلك . فقالوا : لنا ثلاثون سنة مافكرنا فى ابتياع شئ مما احتجنا اليه ، ولا وقفنا بباب غيره . ونحن والله أيها الأمير نرتمض[1] البقاء بعده من السلامة من شئ من المكروه وقع فيه . وعجّوا بالبكاء بين يديه. قال أحمد بن طولون : بارك الله عليكم فقد كافأتم احسانه ، وجازيتم انعامه . ثم قال : [علىّ] بيوسف بن ابراهيم[2] ، فاحضر . فقال خذوا بيدصاحبكم وانصرفوا . فخرجوا معه وانصرف بهم الى منزله .

*
* *

المؤلف و بعض التجار

١٣ — قال : وطالبنى بعض عُمّال الخراج بمصر بمالٍ زاد على ما فى حاصلى ، فاحتجت الى معاملة بعض التجار عليه ، فدللت على رجل من أهل الشام يعامل برهون فصار الىّ وأنا فى بيت المال منه شيخ حسن الصورة ، جميل اللقاء . فقال : الى كم تحتاج . قلت الى مائتي دينار . فأخرج من كمه مالا فوزنه واستزاد من غلام كان معه دنانير حتى أكمل المائتين . ثم سلمها الىّ واقتضانى خطاً بها . وقال : « قد كفيت مؤونة الرهن » . فقلت فكيف أكتب الخط . قال بمائتى دينار كما أعطيتك فقلت له : سبيل المعاملة غير هذا . فقال : والله لاقبلت منك فيها رباً ولو وهبتُها لك لكان من أصغر حقوقك علىّ . ثم قال لى تعرفنى قلت . لا .

---

١) الرمض : شدة الحر يعنى أن الامر يشتد عليهم بعده .

٢) فى الاصل : ثم قال يوسف بن ابراهيم ، فاحضر . فكلمة (على) والباء مصلحة بخط مغاير للاصل . و فى المعجم : ثم قال احضروا يوسف بن ابراهيم فاحضر .

قال : ركبت مركبا أريد الفسطاط من تنيس وحملت فيه تجارة لى ما كنت أملك غيرها . حتى اذ بلغت المحلّة ووازيت ضياعا كانت في يدك . كسر بنا وغرق جميع ما أملكه ، وسلمت بحشاشة نفسي. فجلست على الشط أبكى وانتحب ، فأقبلت فى جماعة معك فسألتنى عن حالى فأخبرتك بها ، فبثثت فى حشد من يغوص على المركب وما فيه ، وحططت على الشط . فأخرجوا بزًّا كان لى وتلف ماسواه ، واستحلفتني على ماذهب لي فأخبرتك به ، وكانت قيمته سبعين دينارا ، فقسمتها لى على وكلائك وكتّابك . فلما حصلَتْ لي أعطيتنى دنانير من عندك وقلت لى : هذا ارش [1] ما لحقك فى الثياب . وأمرت أن يكترى [لى] الى تنيس ، وكتبت [2] الي جماعة معامليك بتنيس بما لحقنى ، وبمعونتى على أمري . فرجع بك الىّ ما أملك واكتسبت جاهـا بتنيس تضاعف مالى به ، وحسنت معه حالى ، وأخذ خطى بالمال وانصرف.

***

١٤ — وسمعت أبا العباس أحمد * بن بسطام يُحدّث أبا الطيب أحمد* بن على . قال : لمّا سخط الموفّق على صاعد* وكّل به من يطالبه واقرني والطائى * على ما كنا نتقلده له . وكان صاعد محسنا الينا ، جميل العشرة لنا ، فلم نترك شيئا نصل اليه مما خفّف عنه إلا بلغناه . وكانت

احمد بن بسطام وصاعد

١) الارش : دية الجراحات يريد به العوض عنا لحقه من الخسارة .

٢) فى الاصل : أن يكترى الى تنيس وكتبت لى الى جماعة الخ .

بيني وبين الطائي أحنة فدعاني الموفق في يوم من الأيام (ونحن بواسط) وقد بلح صاعد واستنزل المستخرج جميع ماوصل اليه منه . فقال لي : أحمد ادخل الى صاعد فقل له ، أظنك أرضيتَ المستخرج حتّى فتر في مطالبتك ، وتالله لئن لم تخرج محتجبك، لأتولينّ تعذيبك بنفسي . فدخلت اليه وأديت الرسالة . فقال لي : ياأحمد والله مابقي لي شيء وما ملكت قط ماهو أحب اليّ من نفسي . فتقول له ياسيدي والله ماأملك على الارض ولا فيها ديناراً ولا درهما ولا جوهراً ، وأنت أولى بالتطول على خادمك . فانصرفت من عنده وأنا أخاف أن يغريه ذلك الجواب . ودخلت اليه وقلت له يقول لك: « ياسيدي ما أملك على وجه الارض ولا بطنها غير مائة ألف دينار عند الطائي » . فأمر باحضاره فلما مثّل بين يديه . قال له: المائة الألف الدينار التي لصاعد عندك ، قد بعث اليّ يحلف أنه لايملك غيرها . فقال له ، هي بمدينة السلام فينظرني الأمير مسافة الطريق وأنا أستسلف له ماتيسر منها من التجار هاهنا . فقال له أكتب خطّك بها . فكتبه وسلّمه الى الموفّق فسلمه الى غلام من خاصته وانصرف الطائي . فاستقبحت ماصدّر مني فيه ، وعظم في نفسي لتصديقه صاحبه وترك معارضته بما يدفع به المرء عن نفسه . فدنوت من الموفق وقلت له : أيها الأمير جميع ما أدّيته اليك عن صاعد مني تقوّلته، وقدقبح في عيني، وسيدي الأمير مخيّر بين الصفح عنه والعقوبة عليه . فقال:أحسنت بارك الله عليك . ثم أمر برد الطائي

فقال لِمَ لمْ تتقرب اليّ بذكر هذا المال. فقال أيها الأمير يمنعني من ذلك ماتولاه من اصطناعي فقال له : ليس يقنعني الا أن تحلف برأسي على هذا المال وفى أى وقت دفعه اليك . فقال : يعفيني الأمير من ذلك فقال : والله لافعلتُ . فقال : وحق رأس الأمير ماله عندى درهم واحد فضلا عنه ، ولكني لما رأيته قد عاذ بالدعوى عليّ، تيقنت أنه لم يبق له حيلة فى المدافعة عن نفسه . فعملت على تحمّل هذا المال ووالله ماأملكه ، ورجوت أن أصل اليه بجاهي ولطيف حيلتي . فاستحضر الموفق الخط ودفعه الى الطائى . فقال له خرّقه . ثم تقدّم باعفاء صاعدمن المطالبة .

* * *

نجاح بن سلمة وابن تميم

١٥ — وكان نجاح بن سلمة معايؤثر عنه من زعارة أخلاقه، وقبح تسلطه ، يحب التبسّط على طعامه ، ويحسن المكافأة عليه . فحدثني يعقوب * بن اسحق بن تميم . قال : أقام اسحاق والدي ببغداد خمساً وعشرين سنة فى رفع حسابه ينقض الكُتّاب جماعاته ويسلّطون الاعنات عليه . قال لي يعقوب، فحدثني أبى أنّ أغلظ الكتّاب بأسرهم كان عليه نجاح ابن سلمة . قال فلمّا أفرط عليّ سوء تحكمه جلست فى منزلي ، فمرّ به اسمي فقال قد عزم اسحاق بن تميم علي أن يتربص بنا كما كان يتربص بمن كان قبلنا. ثم نظر الى بعض المضمومين اليه فقال: بكّر الى اسحاق بن تميم فأحضره الدار الى أن انصرف . قال فباكرني فظّ من الجُند لم

أملك نفسي معه حتى صار [بي] الى دار نجاح . فوجدناه قد ركب فخصّلني على الباب وجلس معي وتعالى النهار واشتد جوعي . فقلت له : أمضي معي الى المنزل لنأكل جميعا ونرجع ، فأبى . فقلت لحاجب نجاح (ورأيته متمكنا من داره) : أصلحك الله ، اني قليل الصبر على الجوع ، وأخاف أن يتأخر الاستاذ وأضعف عن حجتي في حضوره بغلبة الصفراء علي ، وقد سألت هذا الرجل أن يطلق لي الذهاب الى منزلي لآكل وأرجع فأبى . قال : لم لا تأكل هاهنا . واجلسني في سحاحه[1] فيها واستحضر الطعام ، فاحضرت مائدة نجاح بن سلمة ولم يبق حلو ولا حامض ولا حارّ ولا بارد الا نقل علينا . حتى اذا بلغت الى الحلواء من الطعام دخل الدار نجاح فجلس في المجالس . ورآني في دخوله ومكاني من السحاحه فبعث اليّ غلاما له [يقول] : بحياتي استتم أكلك ولا تتجوز فيه . فأقمت حتى فرغ الطعام وجاؤني بالغسل والبخور ثم قمت . فلما رآني ضحك اليّ وقال من علّمك على هذا . قلت : التوفيق . قال : أجل . ثم قال لي ارفع حسابك كيف شئت واحشه فقد أمنك الله من اعتراضك بشيء تكرهه . قال يعقوب قال لي أبي : فغدوت اليه بحسابي فوالله مازاد على التوقيع في الجماعات بامضائها وتخليدها . ثم قال : متى تعزم على بلدك . فقلت ياسيدي انما انتظر فيه اذنك فكل شيء لي فمفروغ منه . فقال : اجعله بعد صلاة الجمعة . قلت : افعل . ثم قال لي تروح اليّ لألقاك في حوائج لي ، فقدرت أن

---

١) كذا في الاصل في المكانين

يحمّلني في الحوائج غرم الألف الدينار . فلما رحت اليه ، دخلت وهو خالٍ .

فقال لي : انك ترجع الى بلد قد يئس منك فيه أهله، فادخل الجارُ من جيرانك الخشبة فى حائطك ، والجار فى البستان قد تحيّف حدودك ، فهب لى ما بينك وبينهم . قلت : افعل .

قال: وترى ببلدك جماعة قد ارتفعوا ، ابناء خاملين فلا تنهرهم بدقة اصولهم ، والصدق عما كان عليه سلفهم ، فانه يزرع لك المقت فى قلوبهم . قلت : افعل .

قال : وأصحاب البريد ، فاحذر أن يرد في كتبهم ذكر لك بخير ولا شرٍ . قلت : افعل .

ثم أومى اليّ يعانقني . قلت ياسيدى حوائجك . قال: هى ما عددته عليك . انك قد حللت منى بانبساطك محلّ القرابة الذي أسر بصوابه ، ويغمني زلله ، فان حزبك أمر فى بلدك فلا تعدل به عني، وأنا استودعك الله . فانصرفت عنه وأنا على غاية من الشكر.

***

محمد بن يزيد ومسافر

١٦ — وحدثني محمد* بن يزيد (وكان حسن التقشف ، سديد الرأي) قال أطلق جماعة من حبس أحمد بن طولون كانت قد وقعت بهم ظنّة بالتلصص وكانوا ينزلون كورة أهناس . فاني عند بعض أصحاب الأكسية حتى وافاه غلام أصفر ، خبيث المنظر، متمكن من نفسه من الخارجين من الحبس . فرحّب به وجلس عنده وهنّأه بسلامته . ثم سأل عن حاله . فقال:

خرجت من الحبس كما ترانى ومامعي نفقة تبلغني منزلى . فقلت له : ما اسمك فقال : مسافر . فقلت له « يافتى قدم الله في أمورك ولا تعدل عنه ، فان الراحة فى ظله » . فقال لي : ياسيدى الحق فيما قلته والنفس أمارة بالسوء والتوفيق الى الله دون خلقه . فاعجبنى جوابه وقلت له : كم يكفيك الى منزلك . فقال : دينار ، فدفعته اليه وقلت له : اذا حدثتك نفسك باخافة السبيل فابعث الي حتى أمسك من رمقك ، واكف فاقتك . فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهنسى بتسلط رجل من اللصوص فى جمع كثير على كثير من المواضع وكبسهم الضياع . وكانت لى أسلاف بسمسطا ونواحيها ، فخرجت لقبضها فى رفقة من التجار قد حملوا البز والطيب وما يحتاج اليه للارياف . فانا بنواحى المحرقة حتى لقينا قطعة من اللصوص فساقتنا بأسرنا الى موضع منقطع عن المارة وفيه شاب أصفر راكب فرس ومعه مقدار خمسة فوارس . فعرضت الجماعة عليه الى أن بلغنى فتأملته فوجدته مسافراً فأكب على رأسي وتحفى بى ثم قال لاصحابه : أخطأ والله حزركم . هذه رفقة شيخى وسيدي ووالله لادخل الي منها شيء ، وسار معنا حتى أخرجنا الى الأمن ثم قال لى : أنا أعلم أنك لا تأكل طعامى ، ولا تقبل شيئا مني ، وقد والله ياسيدى حببت الي مجانبة ما أنا بسبيله ، فنشدتك الله لما جعلتنى طريقك في الرجعة ، فتضمنت له ذلك ودخلنا مدينة أهناس فشاع خبر ما أولانى فى الناس وكان المتقلد لها رجلا من أصحاب أحمد بن طولون يعرف

بفهم متقدّ ما عنده، أثيراً لديه (١) فبعث اليّ وعرف مذهبي. فقال. قد أحفيت المسألة عن هذا الغلام فرأيته لا يرى القتل، ولا هتك الحريم، وانما يتعلّق باطراف الاموال ولا يبلغ الاجتياح (٢). وأنا أسألك أن تسفر بيني وبينه. فاني اؤمنهُ وا كرمه واقلده سيارّة البلد. فرجعت في حاجة فهم اليه فالفيته والجماعة بين يديه، فأديت اليه رسالته وأعلمته أن هذا الرجل صحيح الضمان. فقال: يا سيدى ما بيني وبينه فى الاعمال الاّ أنس الناس به. ثم قالَ لاصحابه: منْ يساعدنى على الخروج الى الله عزوجل. فقالوا بأجمعهم: نحن. فسار معي حتى اذا قربنا من اهناس وضع حبلا فى عنقه وقال ادخل بى في زي الاسرى وهذه الجماعة، فدخلوا والناس يبكون لما اتفق لهم من حسن الهداية، ورأى الناس عجبا من سَوْق شيخ مثلي ضعيف رجلا قد أعجز خيل السلطان. فطلب فهم أن يقبل له خلعة فامتنع من ذلك وأضاف أصحابه الى فهم وأقام الى وقت الحج فخرج الى مكة راجلاً ثم فقدته.

***

١٧ — وحدثني أبو حبيب * المقري. قال: ضاقت أحوالى فلم يبق لى الاّ جارية أحبها، ومنزلا أسكنه. فبعتُ المنزل بألف دينار وخرجت الى مكة بالجارية. فقلت لها: يكون هذا المال فى وسطك.

المقرى وراعى غنم

---

١) أثيراً لديه: أى عظيما أو مختصابه ومقدما على غيره. ٢) الاجتياح: الاستئصال. ومنه الجائحة للشدة، الجتاحة للمال.

فكانت اذا نزلت فى منزلٍ حفرت فى خيمتها حفيرة وأودعت المال فيها وطمّتها ، فاذا نودي بالرحيل أثارته وشدّته فى وسطها .

قال: فاتفق أن رحلنا عن منهل ونسيت المال فى الحفرة ، فأخبرتني الجارية بذلك . قال: فحار فكري ، وطاش[1] روحي ، ولم أدر ما أعمل . ودخلنا مكة فحدثتني نفسي ببيعها فلم يطعني قلبي . فلما رجعنا ونزلنا المنهل الذى خلّفت فيه الكيس ، رأيت صحراء وغلام على رابية يرعى غُنيماتٍ له . وأقبلت أدور وأنظر الى الارض . فقال لي : ويحك ماتطلب . قلت : « شيئاً أودعته أرض هذا المنهل » . فقال لي : صفهُ لي : قلت كيس أحمر فيه مال . فقال : ومالى فيه ان دللتك عليه . قلت نصفه . قال : هاهو ذاك فى الرابية . فلمّا رأى تحيري فيه قام حتى أخرجه ووضعه بين يدى ، فحمدت الله وقسمت الكيس قسمين وخيرته أحدهما . فقال لى : انى أرى قسمى منه كثيرا وأنا أكتفى بنصف أحد القسمين ، فقسمته بقسمين . فقال تقسمه أيضاً بقسمين ففعلتُ . فقال ماأعجب أمرك ! اتركه كلّهُ حراما ونصفه حلالا وآخذ منه شيئا هذا مالا يكون ، انصرف بمالك . فقلت له : ياغلام أنت حرٌّ أو مملوك . فقال : مملوك . فقلت : لمن فقال لشيخ هذا الحى .

فدخلت الحى فالفيت الشيخ والناس عنده . فقلت له : رأيت

---

١) الطيش : النزق وذهاب العقل فكأنه يريد ذهبت روحه غما . وأكثر مايستعملونه مقرونا باللب والعقل والفكر وما أشبه ذلك .

غلاما فى المنهل يرعى غُنَيْمات وأسألك أن تبيعنيه. فقال اشتريته بعشرة دنانير. فقلت أنا آخذه بعشرين. فقال ان لم أبعه. قلت أعطيك به ثلاثين ديناراً. فقال لمن حوله: أما تسمعون ما يقول؟ وما يحملك على أن تبذل به هذا الثمن. فقلت جمع عليّ ضالة فقدرت ان أعتقه وابتاع الغنم برعاها له وأملكه إياها. فقال: قدرت أن تفعل به هذا لفعلةٍ واحدة من الجميل أولاً كها، ولنا فى كل يوم منذ ملكناه حسنة تقتضى أكثر ما نؤتيه له. وأنا أشهد الجماعة أنه حرٌّ لوجه الله، وانّ ما يرعاه له. فانصرفت عن الشيخ وقد بلغ لى ما أمّلتُه له.

***

١٨ — وقلت يوما لاحمد بن محمد المعروف بابن* أبى عصمة كاتب أحمد* بن طُغَان. فقال (وكان لى صديقا مصافيا): قد كثّر[1] الناس فى اصابتك مع ابن طغان: ما اخطؤا فى التكثير، وكان صاحبي سمحا ولقد أصابنى منه فى جهة واحدة ثلاثون ألف دينار، فسألته عن تلك الجهة. فقال: كان لا يُمسك مالا، ولا يعتقد[2] ذخيرة. فقال لي يوماً: «لم يُصبح فى حاصلي درهم واحد فاستسلف لى شيئاً أُنفقه». فمضيت الى منزلى فحملت اليه ألف دينار، فلما وضعتُها بين يديه فتح الكيس

ابن أبي عصمة وابن طغان

---

١) كثّر: بالتشديد كا كثر. أى أكثروا فى تقدير المال الذى أصبته منه أو أكثروا من القول فى صحبتك اياه. وقوله ما أخطؤا: مقول فقال الخ.

٢) قوله ولا يعتقد ذخيرة: العقدة بالضم الضيعة والعقار الذى يعتقده صاحبه ملكا وهذا منه.

وقلّب مافيه ، فلمّا رأى الدنانير صحاحا جيـدة . قال : ما هذه دنانير صيرفى، فيحيانى ممّن أخذتها . فقلت له : كانت عندى . فقال ماظننت هذا موضعك وسكت .

وكان له فى كل شهر ألف دينار نُزْل [1] فجئته به عند استيجابه إياه . فقال لى : ما هذا قلت النزل فقال اقض به دنانير الرجل . ثم جئته به مرة أخرى بنزل الشهر الثانى فقال : اصرفه الى الرجل قلت قد قضيته فقال اصرفه اليـه كما آمرك . فلم يزل يفعل بي هـذا حتى مضى ثلاثون شهراً حصّلت فيها ثلاثين ألف دينار .

* * *

نصرانى ومستتر

١٩ — حدثنى هرون بن ملول قال حدثنى ياسين *بن زُرَارة . قال : كان ببعض أرياف مصر نصرانى من أهلها كثير المـالِ ، فاشى النعمة ، سمح النفس . وكانت له دار ضيافة وجرايات واسعة ، على ذوى الستر بالفُسطاطِ . فهرب من المتوكل *رجل كَنى عن اسمه [2] خطير المنزلة ، لميلٍ كان من المنتصر *اليه . وتبرأ من حاشيته ولبسَ جُبّة صوف فانتهى به المسير الى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغـداذ فخاف أن يُعرف فنزع الى أريافها فانتهى به المسير الى ضيَاع النصرانى . فرأى

---

١) النزل : (بضم فسكون وكذا اضبط بالاصل كالنزل بضمتين) ماهيّء للضيف ، والعطاء والريع الخ وكانه أراد المرتب له . ٢) كنا : (مخففة كذاوجدتها مضبوطة بالاصل) أى تستر عن اظهاراسمه . وقوله خطير المنزلة : أى عظيمها .

منه رجلاً جميل الأمر، وسأله النصرانى عن حاله فذكر أن الاختلال انتهى به الى ماظهر عليه. فغيّر هيئته وفوض اليه شيئا من أمره فأحكمه فيما أسند اليه واضطلع به، ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره، وقام به أحسن قيام. فكان محل الرجل الهارب من النصرانى يفضل كلما ذهب له .

وورد على النصرانى مستحث بحمل مال وجب عليه [وسأله] النصرانىُ عن خبر الناس بالفسطاط . فقال : ورد خبر قتل المتوكل وتقلّد المنتصر ووافا رسول من المنتصر فى طلب رجل هرب فى أيام المتوكل يُعرف بفلان بن فلان · ويوعز الى عمال مصر والشام بأن يتلقوه بالتكرمة والتوسعة فيلحقُ أمير المؤمنين فى حال تُشْبِه محله عنده . فعدل النصرانى بالمستحث الى بعض من أنزله عليه . وخلا الهارب بالنصرانى فقال : أحسن الله جزاك فقد اوليت غاية الجميل ، واحتاج الى أن تأذن لي فى دخول الفسطاط . فقال : ياهذا ان كنت استقصرتنى فاحتكم فى مالى فانى لا أردّ أمرك ، ولا أزول عن حكمك ، ولا تنأى عنى . فقال له : أنا الرّجل المطلوب بالفسطاط وقد خلّفت شملا جماً ، ونعمة واسعة وانما عدلَ بي الخوف على نفسى ، فقال له . ياسيدى: فالمال فى يدك ، وماعندك من الدوابّ فأنت أعرف بهمنى فاحتكم فيه. فأخذ بغالا وماصلح لمثله وخرج النصرانى معه وقدّم كتابا الى عامل المعونة من مستقره . فتلقّاه عامل المعونة فى بعض طريقه ووصّاه وجميع العمّال

بالنصرانى. وصار الى الحضرة فأصدر اليهم الكُتُبَ فى الوصاة به. الى أن قدم بعض العمال المتجرة ، فتتبّع النصرانى ورام الزيادة عليه فخرج الى بغداذ.

قال لى هرون ان ياسين قال له أن النصرانى حدّثه : أنه دخل بغداذ فلم يربها أوفى محلا ، وأكثر قاصداً منه. ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير فخرج أكثر غلمانه حتى استقبلونى فلمّا رآنى قام على رجليه . ثم قال : « مرحباً باستاذى وكافلى والقائم بى حين قعد الناس عنى » . وأجلسني معه وانكبّ علىّ ولده وشمله ، وانا أتأمل مواقع الاحسان من الاحرار . وسألنى عن حالى فى ضياعى فأخبرته خبر العامل وكان أخوه فى مجلسه ، فنظر اليه من كُنّا عنده وقال له كنت السبب فى تقليد أخيك فصار أكبر سبباً فى مساءتى. فكتب من مجلسه كتابا اليه بجلية الخبر وأنفذه. وأقمت عنده حولا فى أرغد عيشة وأعظم تَرَفُّهٍ . وورد على كتب أصحابى يخبرونى بانصراف العامل عن جميع ما كان اعترض عليه في أمري. وأخرج أمر السلطان فى اسقاط أكثر خراج ضياعى ، والاقتصار بى على يسير من مالها .

قال ياسين فكتب النصرانى ببغداذ حجّة[1] أشهد فيها على نفسه أنّ أسهمه فى جميع الضياع التى فى يده (وسماها وحدّدها) لهذا الرجل الذى كان هرب وصار بها اليه . فقال له : قد سوّغك الله هذه الضياع فانى أراك أحق بها من سائر الناس ، فامتنع الرجل من ذلك . وقال

١) فى الاصل : كتابا ثم كتب فوقه (حجة) .

له : عليك فيها عادات تحسن ذكرك ، وترد الاضغان عنك ، ولست أقطعها بقبض هذه الضياع عنك . ورجع النصراني الي القسطاط فجدّد الشهادة له فيها ، فلما توفى النصراني اقرّها فى يد أقاربه ولم يزالوا معه بافضل حال .

***

يحى البرمكى والفضل بن سهل

٢٠ — حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه . قال : كان يحيي* بن خالد بن برمك قد تبنّي الفضل* بن سهل وأجراه مجرى الولد ، ونظر اليه ولده بعين الأخ لهم . فضمّه الى المأمون . وكان يحيي بن خالد حسن المعرفة بالنجوم ، والفضل بارعا فيها . فاتفقا على ماتوجبه النجوم في مُدَد البرامكة ، وتبينا سعادة تنتهي اليها حال الفضل ، وكان كلّ واحد منهما كالمشاهد لما انتهى اليه . وأوقع الرشيدُ بالبرامكة(١) فاعتصم

١) ايقاع الرشيد بالبرامكة وقتله جعفرا كان ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة ١٨٧ بعد أن كانت الوزارة اليهم ١٧ سنة وفى ذلك يقول الرقاشي :

أياسبت ياشر السبوت صبيحة * ويا صفر المشؤم ماجئت اشأما

أتى السبت بالامر الذى هدركننا * وفى صفر جاء البلاء مصمما

ومما يؤثر عن يحيي فى نكبته هذه وقد كتب اليه أحد أصحابه يعزيه فكتب اليه الجواب :

أنا بقضاء الله راض ، و بالخيار منه عالم ، ولا يؤاخذ الله العباد الا بذنوبهم ، وما ربك بظلام للعبيد ، ومايعفو الله أكثر ، ولله الحمد .

وحدث العباس بن بزيع عن سلاّم بن سلمة الأبرش وقد وكّل بباب يحيي . قال لما دخلت على يحيي فى ذلك الوقت وقد هتكت الستور ، وجمع المتاع . قال لى : ياأبا سلمة « هكذا تقوم الساعة » . قال سلاّم فحدثت بذلك الرشيد بعدما انصرفت اليه فاطرق مفكرا .

الفضل بمحله من خدمة المأمون ، وكانت يده تعجز عمّا يصلح يحيى وولده عند الرشيد . فوجه اليه : «ياسيدي قد كربني أمرك ، ولستُ أصل الى حسن الدّفاع عنك فأحلّ ذمامه فى هذه المحنة ،فانى أرجو أن أقضيه عنك عند انتهائى الى سعادتي .

قال ابن أبى يعقوب فحدثنى أحمد بن أبى خالد *الأحول . قال : اتصل بى من ضيق يحيي ما كدّر عيشي . وذكرت احسانه الىّ ، وحسن صنيعه بى ، فضاق بى العريض . ووجدت ما أملكه أربعة آلاف دينار فقسمتُها قسمين . وحملت أحدهما وتوصلت الى الدخول اليهم فى محبسهم ، فوضعتها بين يدى يحيى بن خالد . فقال لى : « ليس يحسُن بنا أن نغرك من أنفسنا، ولا أن نعدك عنا مالاتفى به الأيام لك ، وقد انتهى أمرنا . فان كنت تُقدّر أن أحوالنا تصلح فأمسك عليك مالك » . فقلت : « ماذهبت فى ذلك إلاّ لقضاء بعض الحق عنى . فأخذ بيضاء فكتب فيها : «ياأباالعباس أيّدك الله ، هذا رجل خلص على تجربتنا ، وأحسن بنا ، مع استحكام يأسه منا ، وأنا أذكرك العهد ، وأرغب اليك فى قضاء حقّه عنى ، وتخفيف ثقله علىّ ، أحسن الله عونك ، وكفاك ما أعجزك » . ثم ثناها وقطعها عرضا بقطعتين . وقال لى : احفظ هذا النصف معك ولا تفرط فيه فيفوتك حظ كبير .

ثم فرّق ذلك المال فى قوم ضَعُفت احوالهم بما لحقه. وانصرفت

من عنده وقد آيسني من رجوع حاله ، وأعطاني نصف رُقعة لا أقف على ما توصل اليه ، وتقضّى أمرهم ، ومات الرشيد بطوس ، وغلب الفضل بن سهل على المأمون بخراسان ، وخلفه على جميع أمره . وشجر الأمر بين الأمين * والمأمون فظهر المأمون عليه . وصحت وزارة الفضل ابن سهل للمأمون ، ووردت بادرة المأمون بذلك الى سائر النواحي ، وطالت عُطلتي واشتدت فاقتي ، وفقدت من كان يؤثرني وينحاش اليّ .

فاني لجالس في منزلي في يوم قد أعوزني فيه قوت يومي ، وعليّ ثوب خلق وليس لي إلاّ خلعة أركب فيها . حتى دخل اليّ غلامي . فقال : بالباب جماعة من أصحاب طاهر بن الحسين * فلبست ثياب ركوبي وأذنت لهم وتقدّمهم رئيس لهم تبينت اعظامي في نفسه . فقال: الأمير طاهر يسألك المسير اليه . فنهضت فلمّا دخلت قدّمني وأعظمني . وقال : ورد كتاب الوزير أيده الله عليّ في حملك الى حضرته على حال تكرمة ومعك نصف الرُّقعة التي دفعها اليك يحيي بن خالد . وأمرني بدفع ألفي دينار اليك لحمولتك ومخلّفيك . فقويت نفسي ، وانفسح رجائي ، وخرجت بعد قبض المال مع رسول طاهر . فلمّا دخلت الى الفضل بن سهل لقيني بأجمل لقاء ، وسألني عن نصف الرقعة فأحضرتها . ثم أسرّ الى بعض خاصته شيئا فمضى وجاء برقعة فوصلها بها فكملت . فلما استتم قراءتها بكى . ثم قال : « رحم الله أبا العباس فما كان أعرفه بتصرف الأيام ، واستدعاء الشكر فيها ، والتحيّز من

الذم بها » . ثم أدخلني الى المأمون* وواكد [1] أمري عنده حتى بلغت معه الى أخص أحوال كتّابه ، ومن وثق به فى مهمّ أمره .

***

على المتطبب وولد أفلاطون

٢١ — وحدثني على المتطبب المعروف بالديدان (وكان حسن المعرفة بكتب [2] افلاطون ورموزه ، ومبرزا فى الطب) قال: خرجت مع رجل يُعرف بابن بروخ * من قُوّاد السلطان الى طرسوس . فغنم سبيا كثيرا . وكان السبي فى دارٍ خراب فى الموضع الذى نزل فيه فدخلت لتأمله . فوجدت في السبي شابا حسن الصورة جميل السمت وأكثر السبي حوله . ومكانه منهم مكان المولى من المماليك ، يتسرعون الى جميع ماأومى اليه ، ويكفونه أخذه بنفسه . فكلمت فيه بعض السبي وسألته عنه . فقال لى : هـذا من ولد افلاطون . فارتحت اليه لانتفاعى بجده ودخلت الى ابن بروخ فقلت : هب لى من هذا السبي غلاما . فقال لى: خذه . فدعوت بغلام يشتمل على أمرى ووصفت له الشاب الذى في السبي . وقلت له : اذا سلّمه اليك غلام ابن بروخ فأطعمه ممّا أعددت من طعامى ، وألبسه من فاخر ثيابى ، وطيبه ومكّنه من مجلسى الى أن انصرف اليكم . وتشاغلت بامور ابن بروخ

---

١) واكد : من وكَدَ يكد كوكد أى أحكم أمرى عنده ومثله أكّد قال فى القاموس والتوكيد أفصح من التأكيد . ٢) كتب أفلاطون تجدها مفصلة فى جـ ١ ص ٥٤ من عيون الانباء . وقد عددها ٤٧ كتابا . وذكر منها الوزير القفطى ٣٣ كتابا فى اخبار الحكماء ص ١٤ من النسخة المطبوعة بمصر .

الى آخر النهار ، وانصرفت فوجدته على الهيئة التي آثرتها ، ورام مني مايفعله غلماني من الوقوف فمنعته من ذلك . فقال لي بالرومية : ياسيدي ماالذي وعدتك به نفسك عني ، فان كان عندي بذلته لك وكنت حقيقا به . وان لم يكن لدي صدقتك عنه ولم اتغنم منك مالا يشبهني تغنمه .
فقلت له : قد اقتبسنا من جدك أنواراً حسن بها أثره علينا ، ووجب علينا بها وقايتك بأنفسنا . فقال : « والله ان الطباع التي لاسلافنا معنا ، ولكنا شغلناها في رعي الخنازير . فبعدت بها ممن قربتني له ، وأكرمتني بسببه » .

فخيرته بين الدخول معي الى مصر على أن اشاطره ملكي وعيشي أواحتال له في رده الى بلده ، فاختار رده الى بلده . فلطفت له بانفاذ بعض من أثق به . مع الرسل المتوجهين معه حتى وصل الى بلده .

* * *

محمد بن سليمان والمؤلف

٢٢ — وكانت تنتاب عجائزنا عجوز جميلة المذهب ، ضعيفة الحال تعرف بأم محمد . فيجتمعن على كل صالحة وكنت أخصها بكفايتها . فلما دخل محمد بن سليمان * مصر نزل في ظاهرها . واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب [1] الطولونية ، فاستصفى ماله بالسوط ، وعظم الاخافة . فراعني أمره ، وخفت أن يلحقني عسفه . فاني لجالس في يوم من الأيام وأنا خائف حتى دخلت جارية أم محمد العجوز فسلمت

١) يعني عمال الطولونية . وهي كلمة يستعملها كتاب ذلك العصر لهذا المعنى .

عليّ ، فظننتها والله تقتضي بعض ماعوّدتها . فقالت : سيدتي أم محمد تقرأ عليك السلام وتقول جاءني الساعة رسول ابن عمي وسيدي أبي علي محمد بن سليمان يسأل عني فعرّفته اني كنت في كفايتك، والرسول على الباب يريغ الوصول اليك . فقلت : يدخل . فدخل شابٌ حسن الصورة يُعرف بناشي . فقال : جزاك الله خيراً فقد وصفتك ابنة عم سيدي بما أرجو أن يحسن أثره عليك . ودعا بأصحاب الارباع ، فتقدّم اليهم بأن يمنعوا من تعرضي [1] فعرضت عليه براً . فقال : وأي برّ أكثر مما أتيته الينا ، وانصرف عنّا . فرجع اليّ ناشي هذا برقعة بخط ابن سليمان : « سر الينا لننظر في أمرك ، ونبلغ فيه محبتك ، فاني أرعى لك متقدّم حرمتك ، ووكيد أسبابك، ان شاء الله » . وما لحقني منه شيءٌ أكرهه حتى انصرف عن البلد .

***

ابن أبي شراعة والمؤلف

٢٣ — وكان أبو الفياض * سوار بن أبي شُراعة الشاعر صديقا لي ، وماثلا اليّ . فلمّا اعتزم على الرجوع الى العراق سألني أن أكتب له شيئا من شعري فكتبت له مقدار خمسين ورقة منه ، وكان يستحسنه ويعجب به . فصار الى بغداد وعرَضه على جماعة الأحرار [2] . وأحسن وصفي لهم بسلامة مذهبه ، وطهارة نيّته . ودخل محمد بن سليمان مصر وقد ردّ البريد بها الى أبي عُبَيد الله * أحمد بن صالح . فسأل عند دخوله

١) في الاصل : من تعرضني . ٢) كذا في الاصل ولا أعلم من هم الاحرار الا أن يكون أراد غير جماعة السلطان من المماليك والاتراك فانهم اذ ذاك موالي الدولة .

إياها عن أحمد بن يوسف فأحضر أحمد بن يوسف * كاتبًا كان لاحمد * ابن وصيف ولابن الجصّاص * بعده . فقال له : تعرف أبا الفيّاض . قال : لا . فقال لهم : ليس هذا الرجل الذى طلبتُ فأحضرتُ، فلمّا رآنى استشرف اليّ وقال: تعرف أبا الفيّاض. فقلت: « ذكرك الله وإيّاه بكل صالحة » نعم أعرفه وكان خلاً لى . فقال هل أنشدك من شعره :

ظللنا بها تستنزلُ الدنّ صفوه فينزل اقباسا بغير لهيبِ

قلت : لا ياسيدي ولكني أنشدته إيّاه من شعرى . فضحك وقال : والله لقد اشتقت الى الدخول الى مصر من اجلك . وكان والله افضل عون لى على امورى .

* * *

علان بن المغيرة وفقيه

٢٤ — وحدثنى أحمد بن * سقلاب . قال: كان بمصر رجل من الفقهاء مشهور الاسم، وله حلقة عظيمة بالجامع . فبينا هو فى صدرها إذ وافى علاّن بن * المغيرة[1] فلما رآه مقبلا نحوه قام اليه على رجليه ثم خطا اليه حتى لقيه . فاكثرت الجماعة قيام شيخ مثله الى حَدَث مثل علاّن وتحفيه به وعرض نفسه عليه، وانه لم يدع شيئاً يفعله تابع بمتبوع إلا بذله، وأسررنا الموجدة عليه . فلما قام علاّن . قال لجماعتنا : ما أعلمنى بما أضمرتم ولكنى أريكم عُذرى فيما خرجت اليه .

كانت عندى ألف دينار وديعة لرجل بالمغرب قد طال مقامها،

١) فى الاصل : ابن علان بن المغيرة . ثم أعاد ذكره بلفظ علان فقط .

وطالب زوج ابنتي بادخال امرأته عليه . فجلست أمها بحضرتي فقالت لي : ماالذي تراه فيما قد ألحّ فيه هذا الرجل . فقلت لها : نستعمل فيه التجوّز . فقالت لي : لنا حساد نخاف شماتتهم ولا بُدّ من أن تعينني على التجمّل . فقلت : ان كان ماتُريدين فى قُدرتى لم أبخل به عليكم . قالت : هو فى قدرتك . قلت : ماهو . قالت : تمكنني من هذه الوديعة ونحتاط فيما نبتاعه من الجهاز حتى يصل الينا ثمنه في أى وقت أردناه ، وندخل هـذه الصبيّة على زوجها ، فان جاء صاحب الوديعة بعنا ما اشتريناه ولم نوضع فيه إلاّ مايسهل علينا غُرْمه . قلت : هذا قبيح عند الله وعند خلقه . فلم تزل تلح بى وتحتالُ عليّ حتى أجبتها . فجهزت ابنتها بجميع المال ، وأدخلتها على زوجها .

فلم يمض بنا بعد ذلك إلا شهران حتى وافى صاحب الوديعة يطلبُها . فقلت لها ماتفعلين . فقالت : أمضى فاحمل المتاع وأبيعه ، فمضت الى ابنتها ورجعت اليّ فقالت : لاتشغل نفسك بهـذا المتاع فقد حلف زوجها بطلاقها أنه لايخرج منه شيء عن منزله . فسُقط فى يدىّ ، ورأيت الفضيحة فى الدارين متصدية لي . فوضع افطارى بين يَدىّ فلم اطعم ، واعتراني ماخفت منه على عقلي وبت بليلة مابت بمثلها ، وأنا أتبين سهولة ذلك على زوجتي فى جنب ما أحرزته لبنتها . ثم انتبهت قبل الفجر بمنازل فصحت بالغلام أسرج لى . فقام وأسرج وقال : ياسيدى أين تمضى . فقلت : ليس لك الاعتراض عليّ ، وركبت وسرت بطوع عنانى ، فلم يزل بغلى يسير

حتي دخلت زُقاق علاّن بن المغيرة . فوقفت على باب داره وصاحَ الغلام بالبوّاب وعرّفه بموضعي . فسمعتُ حركة في داره ثم فتح الباب وأذن لي بالدخول ، فدخلت عليه فوجدت بين يديه شمعة وهو يكتب جوابات كتُب وكلائه . فلمّا رآني قام اليّ وقال لمن حضره من الغلمان : تنحوا . وأقبل عليّ فقال : والله لو بعثت اليّ لسرت اليك ولم اجُشّمك السعي اليّ ، فاشرح لي أمرك . فغلبتني العَبْرَة وحالت بيني وبين الكلام ، فما زال يسكّنني حتي نصصتُ له اتفاق الوديعة . وهو مغموم بأمري . ثم قال : فكم هذه الوديعة . فقلت ألف دينار . فضحك ، وقال: فرّجت والله ! عنى . ما توسمتُ أني أملكها . فكان الغم يقع بها ، فامّا وهي في القدرة فما أسهلها عليّ ، وأخفها لدي . ثم قال لغلامه : جئني بتلك الصّرار التي وردت علينا من المغرب في هذا الشهر ، فجاء بأربع صرار فنظر فيما عليها وجمعَه وقال : هذه ألف دينار وخمس مائة دينار ، ألف للوديعة ، وخمس مائة تصلح بها ما بينك وبين من عندك . ثم قال لي : متي أشكر افرادك إياي بعد الله عز وجل ذكره بتأميلي في حادثة حدثت عليك فأعانني الله على مكافأتك . وأضاف اليّ من خفرني الى منزلي . فقالت الجماعة : قد سمعنا عذرك ، وعلينا عهد الله أن لقيناه أبداً الاقياماً .

*
* *

٢٥ — وبعث أحمد بن طولون في السّاعة التي توفى فيها يوسف بن [الطالبي ووالد المؤلف]

ابراهيم والدى بخدم. فهجموا الدار، وطالبوا بكتبه مقدّرين أن يجدوا فيها كتابا ممّن ببغداذ . فحملوا صندوقين وقبضوا علىّ وعلى أخى وصاروا بنا الى داره، وأدخلنا اليه وهو فيها جالس وبين يديه رجل من أشراف الطالبيّين . فأمر بفتح أحد الصندوقين وادخل خادم [يدَهُ] فوقع دفتر جراياته على الاشراف وغيرهم . فاخذ الدفتر بيده وتصفحه وكان جيّد الاستخراج فوجد اسم الطالبي فى الجراية فقال له وأنا أسمع : كانت عليك جراية ليوسف بن ابراهيم . فقال [له نعم : يا أيها الامير] دخلت هذا البلد وأنا مملق[1] فأجرى علىّ فى كل سنة مائتى دينار ومائتي أردبّ قمح اسوة ابني الارقط والعقيقى وغيرهما . ثم امتنّت[2] يداى بطَوْل الامير فاستعفيتهُ منها . فقال لى : «نشدتك الله أن قطعت سبباً لى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم » . وتدمّع الطالبي . فقال أحمد بن طولون : «يرحم الله يوسف بن ابراهيم» . ثم قال لنا : انصرفوا الى مَنازلكم لا بأس عليكم . فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا وحضرنا الصلوى وقد أحسن مكافأة والدنا فى مُخلّفيه .

***

موسى بن مصلح ورجال من التجار

٢٦ — وحدثني موسى بن مُصلح . قال : أنفذ الىّ حسن بن مهاجر كاتب أحمد بن طولون عشرة رجال من التُجار . وقال اعتقلهم بمعزل

١) المملق : المفتقر . ٢) امتنت : من المنة . وفى معجم الادباء (وقد ذكر الحكاية) امتلأت . والطول : الغنى عن فضل وسعة . وما تجده فى هذه الصحيفة بين الدائرتين فهو من المعجم .

عن المسجونين حتى أعرضهم في غدٍ على الأمير ، فتسلمت منه قوماً تشهد لهم القلوب بالفضل . فآنست وحشتهم، وفسحت رجاءهم. فقالوا لي: قد شكرنا جميل صنيعك، ولنا اليك حاجة . قلت ماهي: قالوا فينافتى يضعف قلبهُ عن لقاء الأمير فتقبل منّا بدلاً به، ولك علينا مائة دينار. قلت: أنا أفعل ان وجدتم من يُجيب الى هذا (وكان عندى أنه كالممتنع). فأخذ شيخ منهم رقعة وكتب فيها الي رجل كان قد أولاه عارفة فسأله ذلك ، فأجابه الرجل انى بأثر رقعتي . قال موسى: فتوهمت أن هذا قول لا ثمرة له ، فلم اشعر به حتي وافى . فقال ماأخرنى عنك الآ انى جدّدت وصيةً ، وأحكمت ماخفت ان يقطعني عنه ما دعوتنى اليه . وقال: لست أجيبك الى ما التمست حتى تكون المائة الدينار من عندى دون جماعتكم وأخرجها من كمه ودفعها اليّ ، وصرفت الرجل وأقامَ هذا مكانه فلم اتبيّن منه غما بهذا ولا قلقاً له . وظلوا ليلتهم يتحدثون ويتناشدون والسلامة غالبة على خواطرهم حتي أصبحوا وأخرجهم حسن بن مُهَاجر فعرضهم على أحمد بن طولون . فتبين تحامُله عليهم. فأمَره بترك التعرض لهم فانصرفوا وكانت الطافهم ترد عليّ حتي فقدتهم.

***

تاجر وزوجته

٢٧ - وحدثنى أحمد * بن أيمن كاتب أحمد بن طولون . قال : دَخلت بالبصرة الي تاجر ذهب عنى اسمه ، فرأيت بين يديه ابنين له في نهايةٍ من النظافة. فلمارآنى أقبل بنظرى اليهما . قال لى: أحب أن تُعوّذهما

ففعلت . وقلت له : استجدت الام لحسن نسلك . فقال : ما بالبصرة اقبح من أمهما ولا أحب الي منها . ولها معي خبر عجيب فسألته أن يحدثنيه .

فقال : كنت أنزل الابلة وأنا متعيش ، فحملت منها تجارة الى البصرة فربحت ، وحملت من البصرة الى الابلة فربحت . ولم أزل احمل من هذه الى هذه فأربح ولا أخسر حتى كثر مالي وتعالم الناس اقبالي وآثرت السكنى بالبصرة وعلمت أنه لا يحسن بي المقام بها بغير زوجة ولم يكن بها أجل قدراً من جد هاذين الغلامين . وكانت له بنت قد عضلها[1] وتعرض لعداوة خطابها . فحدثتني نفسي بلقائه فيها فجئته على خلوة . وقلت له : ياعم أنا فلان بن فلان التاجر . فقال : ما خفي عني محلك ومحل أبيك . فقلت : قد جئتك خاطبا لابنتك . فقال : والله ما بي عنك رغبة ولقد خطبها الي جماعة من وجوه البصرة وما أجبتهم ، واني لكاره من اخراجها عن حضني الى من يقومها تقويم العبيد . فقلت : « قد رفعها الله عن هذا الموضع . وأنا أسألك أن تدخلني في عددك ، وتخلطني بشملك » . فقال : ولا بد من هذا . قلت لا بد وهو زائد في فضلك علي ، واصطناعك اياي . فقال : اغد علي برجالك ، فانصرفت عنه الى ملأ من التجار ذوي أخطار فسألتهم الحضور معي في غد . فقالوا : انك لتحركنا الى سعي ضائع . قلت : لا بد من ركوبكم معي . فركبوا على ثقة من أنه يردهم ،

---

١) عضلها : كعضلها (مشددة ومخففة) منعها الزوج ظلما .

وغدونا عليه فأحسن الاجابة وزوجني وأطعم القوم ونحر لهم وانصرفوا .
ثم قال لي : إن شئت ان تبيت بأهلك فافعل فليس لها ما يحتاج
الى التلوّم عليه . فقلت : هذا يا سيدي ما أحبه . فلم يزل يحدثني
بكل حسن حتى كانت المغرب فصلاّها بي . ثم سبّح وسبحت ، ودعا
ودعوت ، الى أن كانت العتمة فصلاها بي وأخذ بيدي فأدخلني الي
دار قد فرشت بأحسن فِرشةٍ [1] ، بها خدم وجواري في نهاية من
النظافة ، فما استقر بي الجلوس حتى نهض . وقال : « استودعك الله ،
وقدّم الله لكما الخيرة وأحرز التوفيق » . واكتنفتني عجائز من شمله ،
فجلون ابنته عليّ . فما تأملت طائلا وأرخت الستور علينا . فقالت : ياسيدي
انى سر من أسرار والدى كتمه عن سائر الناس ، وأفضى به اليك
ورآك أملا [2] لستره عليه ، فلا تخفر ظنه فيه . ولو كان الذي يطلب من
الزوجة حسن صورتها دون حسن تدبيرها وعفافها لعظمت محنتي . وأرجو
أن يكون معي منها أكثر مما قصّر بي في حسن الصورة . ثم وثبت
فجاءت بمال في كيس . فقالت : يا سيدى قد أحلّ الله لك معي ثلاث
حرائر وما آثرته من الاماء ، وقد سوغتك تزويج الثلاث وابتياع
الجواري من مال هذا الكيس ، فقد أوقفته على شهواتك ولست أطلب
منك إلا سترى فقط .

---

١) الفرشة بالكسر : الهيئة . ٢) كذا في الاصل : ولعله (أهلا) لستره .
وكذا قوله : ظنه فيه لعله (ظنه فيك)

فقال لي أحمد ، فحلف لى التاجر : انها ملكت قلبي ملكا لم تصل اليه حسنة بحسنها. فقلت لها جزاء ماقدمتيه ماتسمعيه مني: والله لا اصبت من غيرك أبدا ، ولأجعلنك حظى من دنياي فيما يؤثره الرجل من المرأة . وكانت اشفق النساء واضبطهم واحسنهم تدبيراً فيما تتولاه بمنزلى ، فتبينت وقوع الخيرة فى ذلك ولحقتنى السّن فصارت حاجتي الى الصواب أكثر منها الى الجماع . وشكر الله لى ما تلقيت به جميل قولها ، وحسن فعلها ، فرزقني منها هذين الابنين الرائعين لك ، ونحن منقطعون الى جوده فينا، واحسانه الينا.

***

هرثمة بن أعين والرشيد

٢٨ — حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال: أنكر المهدى على هرثمة* بن أعين تحككه بمعن بن * زائدة وأمر بنفيه الى المغرب الأقصى، فكلّمه الرشيد فيه واستل سخيمته[1] عليه، ومات معن وزادت حال هرثمة ، وشكر للرشيد ما كان منه وأفضت الخلافة الى موسى * الهادى . فتمكّن منه هرثمة وحدّثت الهادي نفسه بخلع الرشيد وجمع الناس على تقليد ابنه العهد بعده ، وعلم بهذا هرثمة وتذكر عارفة الرشيد فتمارض .

وجمع الهادى الناس ودعاهم الى خلع الرشيد ونصب ابنه مكانه فأجابوه وحلفوا له وأحضر هرثمة . فقالوا له : تبايع ياهرثمة . فقال: ياأمير المؤمنين يمينى مشغولة ببيعتك ، ويساري مشغولة ببيعة أخيك ! فبأى يد ابايع .

١) السّخيمة: الحقد. واستل: كسلّ: وذلك انتزاعك الشيء واخراجه فى رفق .

والله ياأمير المؤمنين لا أكَّدْتَ فى الرقاب من بيعة ابنك أكثر مما أكده أبوك لاخيك فى بيعته ، ومن حنث فى الاولى حنث فى الاخرى ولولا تأول هذه الجماعة بأنها مُكْرَهة، وأسرارها فيك خلاف ماأظهرت لامسكت عن هذا . فقال لجماعة من حضر : « شاهت وجوهكم » . والله لقد صدّقني مولاى وكذبتمونى ، ونصحنى وغششتمونى ، وسلّم الى الرشيد ماقدره الهادى فيه .

أبو يوسف والرشيد

٢٩ — وسمعت يوسف بن ابراهيم والدى . يقول : لم يتمكن أحد من أحدٍ تمكّن أبي يوسف* القاضى من الرشيد . ولقد سألت ابراهيم بن المهدى عن السبب فى ذلك . فقال : كان يستحق هذا منه لما حدثنى به مسرور الكبير . قال : كنت فى خدمة المهدى وكان الرشيد حفيا بى، محسنا الىّ ، فلمّا انتقل أمر الخلافة الى الهادي . قال لى الرشيد : ان أخى قوي الشَّراسة وأنا أخاف ايقاعه بى، وجمع الناس على بيعة ابنه بعده . وأنا على غاية من الثقة بك فاعدل اليه وكن لى عينا عليه . فتقدمتُ عند الهادى حتى توليت ستر بيت خلوته . وكان المهدى قد قَرَن أبا يوسف بالهادى فتمكن منه، وقبل فِي مُهمّاته مشورته، فلمّا حلا بقلبه شاوره فى ذلك . فقال ياأمير المؤمنين لاتحمل نفسك على قطيعة رحمك ، وأولياءك على الحنث بأيمانهم، واستدع من الله زيادته بما يُرضيه عنك، فتوقف بعض التوقف . وسُعى اليه بالرشيد وقيل له انه [عامل] على أن يغتالك . فدعا بأبى يوسف وأخبره بما تأدي اليه . فقال : ياأمير المؤمنين لاتسمع هذا وأنا الضامن لك

حسن طاعته ، ووكيد موالاته . فكنت أنهى جميع ذلك الى الرشيد فيشتد سروره به ، ويرغب الى الله فى معونته على مكافأته . فلما أفضت الخلافة اليه . دعا به وقال له : يايعقوب لوجاز لي ادخالك فى نسبي ، ومشاركتك فى الخلافة المفضاة اليّ ، لكنتَ حقيقا به . ألستَ القائل لاخي وقت كذا كذا . وفي وقت كذا كذا . فقال : ياأمير المؤمنين من أنبأك بهذا ، فوالله ما كان معنا ثالث . فضحك الرشيد وقال : مسرور كان يتولى ستر بيت خلوته ، وكان يُنْهى اليّ جميع ماصدَر عنه . قال مسرور : فوالله مابرحت بى عناية أبي يوسف حتى بلغت مع الرشيد هذا المبلغ .

*
* *

أبو يوسف وبذل

٣٠ — وحدثني أحمد بن أبي عمران * الفقيه أن ابن الثلجي * حدثه أنّ بشر * المريسي (وكان متزهداً) قال : ما اشتهيت من مراتب السلطان الا مرتبة رأيت أبا يوسف بلغها في عشيّة من العشايا . كنت اجتزت به مسلماً عليه ، فقال لي : تقيم عندى العشية لنتناظر فى طائفة من العلم ، فانى لجالس عنده وقد ابتدأ فيما آثرناه حتى وافى اليه رسول أمير المؤمنين الرشيد . فقال لى : انتظرنى ومضى . فغاب عني مقدار ساعتين ورجع وخلفه غلمان يحملون مالا فوضعوه بين يديه وانصرفوا . فقال : دفعتُ الليلة الى عجائب . قلت : ماهى . قال : دخلت الى دار أمير المؤمنين فانتهى بى رسوله الى ستر مُسْبَلٍ على بابِ مسرور الكبير

يُمسكه. فقال لى: سلّم على أمير المؤمنين فسلمت. فقال: وعليك [السلام] يايعقوب ادخل وحدك، فرُفع الستر حتى دخلت. فألفيت عنده محمد ابن جعفر بن المنصور * مولى الجارية المعروفة ببذل، ووجهُ كل واحد منهما محوّل عن صاحبه. وبين يدي الرشيد سيف مشهور.

فقال لى: يايعقوب هذا الرجل يُديرنى مُذ الظهر على قتله. فقال له: ترضى به حكما بيننا. قال: نعم. قلت[1]: ألق هذا السيف عن يدك، وأرض بالحق لك وعليك. واستدارا جميعا حتى جلسا مجلس الخصوم بين يديّ. ثم قال الرجل: سألني أمير المؤمنين أن أبيعه جاريةً عليّ فيها ايمان مُحرجة لا كفارة لها، ألاّ أبيعها ولا أهبها. قال فقلت له: فتسمح بها لأمير المؤمنين ان أخرجتك من يمينك. قال أى والله وانّ ذلك لسهل عليّ. فقلت: هب لي نصفها، وبعه نصفها. فقال: قد أجبتُ، وجعلت ثمن النصف هدية لك. وتعانقا جميعا وانصرفت اليك ولحقنى هذا المال.

فوجدنا المالَ المحمول خمسة وعشرين ألفا فقلت في نفسي: أحيا نفسا وأصلح بين خليفة وابن عمه فى مقدار ساعتين من النهار. قال بشر: فوالله مافرغنا من صلاة المغرب حتي ابتدرنا الغلمان يحملون مالاً وبزّاً وطيبا ومعهم جارية حصيفة[2]. فقالت: تقرأ عليك السلام

---

١) فى الاصل: قال ألق الخ. ٢) الحصيف: الرجل الجيد الرأى المحكم العقل. قال:

تخلّط فيه من هذا بهذا * فما أدرى أأحمقُ أم حصيفُ

سيدتى وتقول لك : أجازنى سيدي أمير المؤمنين بما حملته اليك فجعلته ثواب الفُتيا التى كانت سبب وصولى اليه ، فكان المال منه خمسة وعشرين ألفا .

* * *

رجل من صنائع الامويين والمنصور

٣١ — حدثنى أحمد بن أبى يعقوب * قال حدثني أبى أبو يعقوب عن جدّي واضح * مولى المنصور . قال : كنت بين يدى المنصور وقد أحضر رجلا كان من رجال هشام بن عبد الملك ، وهو يسائله عن سيرة هشام لانها كانت تُعجب المنصور . فكان الرجل يترحّم عند كل جارٍ من ذكره فاحفظ [1] ذلك جماعتنا . فقال له الربيع : « كم تترحم على عدوّ أمير المؤمنين » . فقال الرجل للربيع : مجلس أمير المؤمنين أيّده الله أحق المجالس بشكر المحسن ، ومجازاة المجمل ، ولهشام فى عُنقى قلادة لا ينزعها الاّ غاسلي . فقال له المنصور : وماهذه القلادة . قال : قلّدنى فى حياته ، وأغنانى عن غيره بعد وفاته . فقال له المنصور : أحسنت بارك الله عليك ، وبحسن المكافأة تستحق الصنائع ، وتزكو العوارف ، ثم أدخله فى خاصته .

وقد مثّل بعض الفلاسفة : الحسن المكافأة بالحُسام الصقيل [2] الذي يحدث له وقوع الشمس عليه انبعاث شُعاع منه يجلو غياهب

---

١) احفظه : اى اغضبه عن حمية . ٢) فى الاصل (بحسام الصيقل) فالصقيل المشحوذ المجلوّ والصيقل شحّاذ السيوف وجلاّؤها .

الامكنة المظلمة ، ويكون وفور شُعاعه على حسب صقالته .

***

وقال أفلاطون : من حسنت مكافأته ، لم تغضبه خيبته فيما التمسَهُ ، لأنه يُقيم العوارف مقام ديون يتحملها لا يسعه اغفال قضائها . وانما يغضب من المنع : من آثر تحصيل العارفة ، واغفال المكافأة عليها . ولأنّ المرغوب اليه اذا كان يحتاج الى مطالعة حسن المكافأة للاحسان فيثابر عليه ، وسوء المكافأة على الاساءة فيتأخر عنه ، كان الراغب محتاجا الى أن يكون في خلَده[1] من أخبار من أساء الصنيع فساءت مكافأته ، ما يوازى ما أثبتناه من حسن المكافأة للاحسان .

المكافأة على القبيح

١ — حدثني أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه * عن جده مولى عبد الله * بن المقفّع أنّ عبد الله حدّثه . قال : (كان فيما ترجمته من سِيَرِ الفُرس)[2] انّ فيروزا لما تقلّد مملكة فارس حدّثته نفسه باجتياز بلد الهياطلة . وكان به للهياطلة مَلِك صحيح الرأى ، حسَنُ الجوار ، فجمع ذوى الرأى فى

ملك الهياطلة وفيروز

---

١) الخَلَد : محركة البال . ٢) أورد الطبرى هذه الحكاية فى الجزء الثانى من تاريخه وسمى ملك الهياطلة هذا أخشنوار . والهياطلة : جنس من الترك كانت لهم شوكة يسكنون بلاد ما وراء النهر .

بلده وسألهم عمّا يرون ، فعرضوا عليه أموالهم والخروج معه فجزاهم خيرا وانصرفوا ، وخلا به وزيره (وكان عالي السّن) . فقال له : «أيها الملك انّ يسير الحيلة ربما بلغ أوفى منازل المكافحة [1] ، والذى عندى من الرأى أن تُظهر السخط عليّ ، فتقطع يدىّ ورجلى وتنفينى الى أقاصى عملك ، وتكتب الى عاملك هناك في حبسي وتظهر انك تبيّنت مني مَيْلا الى فيروز» . فقال له : «انّ حسن الحيلة انما تقع بغير اضرار يلحق صاحبها ، واذا بلغنا بك هذا فقد جاوزنا بك مانخافه من فيروز لو حصلتَ في يده» .

فقال : «أنا مُذْ تكامل تمييزي أحسب مالي وعليّ ، فاذا وهبت لى نعمة علمتُ أنّ عليّ فيها محنة ، وأن الرغائب بالنوائب ، وقد عشتُ فى سلطانك أيها الملك فى هذه السّن العالية . عزيز الجانب ، خصيب الافنية ، وشملى فى نهاية من رفاغة [2] العيش . وليس من الجميل أن أمسك عن قضاء حقّ النعمة عليّ لسلطانى وشملى وأهلى وولدى ، وصيانتهم مما عداهم بنفسى . واعلم أنى لو خدمت السلامة لنفسى لمات ذكرى بموتى ، ولم أبق شرفا لأهلي . ولعلّ أجلى قريب فأفوز بحسن الذكر فيما أتيتُه ، وقضيت به حق سوالف الانعام عليّ ، والاحسان اليّ . وانما اعتمدت هذا الأمر الفظيع لاعدل بفكر فيروز عن الحيلة ، واضطرّهُ الى السكون اليّ» .

---

١) المكافحة : المقاتلة وجها لوجه . والاصل فيه كفحه اذا واجهه .
٢) رفاغة العيش : كرفاهته السعة والخصب فيه .

فلمّا رأى أنه لا يرجع عمّا أشار به عليه . دعا به وقطع يديه ورجليه ونفاه الى آخر مسالحه[1] ، فكان محبوساً هناك .

وجدّ فيروز فى سفره فوافى الموضع الذى فيه الوزير فوجده خالياً ممن كان فيه ، ولم ير به غير رجل مقطوع اليدين والرجلين . فسأله عن حاله فقال : « كنت وزيراً لهذا الخائن فاستشارنى فأشرت عليه أن لا يناهضك وأن يسألك اقراره فى البلد ، وحمل خراجه اليك . فاستشاط وسوّلت له نفسه مُنَاواتك ، وقد جمع جيشاً له كثير العَدَد ، قوي النكاية ، وقدّر أن يلقاك فى هذه الطريق . وعندى حيلة اجازيه بها على سوء صنيعه » .

واستخلى فيروز الوزير[2] فقال له : ان عدلت عن هذه الطريق وتجشمت قطع بريّة يقيم السائر فيها يومين ، تحتاج الى حمل الماء الى مسيرة يوم منها ، ثم تفضى الى مياه متدفقة . فاذا قطعتها وصلت الى بلد الهياطلة وهو وجمعه فى الطريق الذى آثرت سلوكها ، فتدخل البلد بغير حرب . فحملته الاستنامة اليه بما رآه به على تصديقه ، ولجج[3] فى البرية بجميع جيشه . (وقد كان واطأ [الوزير] الملك على تكمين جمع له آخر فى البرية) فسار يومه وبعض غده فى قفر لا يوجد به ماء ولا نبت فتساقطت الدوابّ من العطش ، وافترق الجيش لطلب الخلاص ،

-----

١) المسالح : جمع مسلحة موضع السلاح كالثغر والمرقب .
٢) فى الاصل (واستخلى فيروز الملك) ولعله سبق قلم من الكاتب .
٣) لجج بجيشه : أى ألجأ جيشه الدخول فى البرية .

وخرج عليه منسر [1] من جيش الهياطلة فأثروا عليهم وأخذوا فيروزا أسيراً ، فمنّ عليه ملك الهياطلة بالامساك عن قتله وجمع وجوه بلده وأضاف اليهم وجوها من عسكر فيروز واستحلف فيروزا بحضرتهم أنه لا يجاوز حجرا جعله فصلا مشتركا بينه وبينه . وأثبت المفارقة فى صحيفة بخط فيروز واشهد عليه الجماعة واطلقه على غاية من التبجيل والاكرام.

فدخلت فيروزا خجلة من رجوعه الى مملكته بعد اسر ملك الهياطلة له وتمعيره به [2] ، وحدثته نفسه بمعاودة قتاله . فخرج اليه وسوّلت له نفسه أنه ان حمل الحجر حتى يدخل به بلد الهياطلة لم يحنث فى يمينه . فحمله بين يديه وسار بجمع كثير وخرج اليه ملك الهياطلة فالتقيا فى منتصف طريقيهما ، فلمّا تراءى الجمعان انفرد ملك الهياطلة عن جمعه وسأل فيروزا موازاته ليسمع منه شيئا . فبرز فيروز . فقال له : « أنا وإيّاك فى قبضة من حنثت فى اليمين به، وهو عزوجلّ يشكر للمحسن احسانه، ويعاقب المسيء بأساءته ، وقد أنعمت عليك ، وأحسنت اليك وأنا أخوّفك الله واحذرك سطواته ، فانى أعلم أنّ حياءك ممـا جرى عليك هو الذى ردّك ، فينبغى أن يكون استحياؤك من الله عزوجل أشد من استحيائك من خلقه . وليس يخرجك من يمينك حمل هـذا

---

١) المنسر : قطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير . وقوله فاثروا عليهم: أى عزموا عليهم . وهى فى الاصل غير منقوطة . ٢) التمعير : من مَعِر اذا نَصل من شىء أصابه أو من معّر وجهه غـيّره غيظا فتمعّر .

الحجر بين يديك ، لأنّ اليمين انما تكون على نيّة المستحلف لا على نيّة المستحلَف ، فتدبّر قولى . واعلم أن من سمعك من أصحابى على غاية من الثقة بالله فى نصره ، ومن سمعك من أصحابك على ذُعْرمن أن تهلك بحَوْبك[1] » . فقال له : لستُ أرجع عن قتالك . فأمر أن تركب الصحيفة على أطول رمح فى العسكر وحمل عليه ، فهزم جيش فيروز وقتل فيروز فى المعركة .

***

ابن الزيات والمتوكل

٢ — وسمعت أبا جعفر محمد * بن هرثمة يقول : كان محمد * بن عبد الملك الزيات يسعى على المتوكل فى أيام الواثق ، ويحرّضه عليه ، فتغيّرت عليه نيته حتى أدّاه ذلك الى حبسه عند محمد بن عبد الملك .

فسمعت المتوكل يقول (فى اليوم الذى تقدّم فى ادخاله الى التنور الحديد) : لم يُمْنَ أحد بمثل مامنيتُ به من ابن الزيّات ! ضيق علىّ محبسى ، ومنعنى مما اقتضتنيه عادتى . وكنت قد ربيّت وفرةً فلم يُطلق [لى] تنظيفها ، فكثرت الدواب فيها . وتأدى ذلك الى والدتى ، فكتبت الى الواثق رُقعةً . فقال لمحمد بن عبد الملك : اطلق لجعفر طمّ[2] شعره ، وتنظيف ثوبه وتطييبه . فانصرف كالمغيظ وضرب الموكل بى وقال : تركت محبس جعفر شارعا من الشوارع حتى سهل شكوى أمه . ثم أمر باخراجى فخرجت فوجدت أمارات الغضب فى وجهه . فوقفت

١) الحوب : الاثم . ٢ طمّ شعره : أى جزّ ما توفّر منه .

ساعةً لا يرفع فيها وجهه الىّ . ثم قال : نِطع . فأوهمني أن الواثق أمر بضرب عنقي ، فبُسط بين يديه ، ثم أومى الى الغلمان بادخالي فيه ولم أشك في القتل ، ثم قال : الحجّام . فقلت أظنّه يخلع اضراسي قبل قتلي وأنا في سائر هذا قائم ، فلمّا وافى الحجّام . قال : احلق شعره ، فاجلسني يحلق شعري فآليت على نفسي انى لا استبقيته لحظة ان ظفرت بالخلافة ، فمات محمد بن عبد الملك بالتنور في اليوم الثالث[1] .

١) تناقل الكتّاب والمؤرخون خبر ابن الزيّات وتحامله على المتوكل وقد ذكر الطبري حكاية قصّة وفرة المتوكل بغير هذا المعنى ثم ذكر خبر التنور فقال : هو أوّل من أمر بعمل ذلك فعذّب به ابن أسباط المصري حتى استخرج منه جميع ما عنده ثم ابتلى به فعذِّب به أياما . ثم وصف التنور فقال : انه من خشب وان فيه مسامير من حديد وفي وسطه خشبة معترضة يجلس عليها المعذّب اذا أراد أن يستريح . وقال ابن خلكان في الوفيات : انه من حديد واطراف مساميره المحدودة الى داخل وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ ثم قال : وكان يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالاموال . فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه فيجدون لذلك أشد الالم . ولم يسبقه أحد الى هذه المعاقبة . وكان اذا قال له أحدهم : أيها الوزير ارحمني . فيقول له : الرحمة خور في الطبيعة . فلما اعتقله المتوكل امر بادخاله في التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد . فقال : يا أمير المؤمنين ارحمني . فقال له : الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس . توفي سنة ٢٣٣ ووجد مكتوب بخطه وقد خطه بالفحم على جانب التنور

من له عهد بنوم يرشد الصب اليه
رحم الله رحيما دل عينىّ عليه
سهرت عيني ونامت عين من هنت لديه

***

ابن سليمان وجلاد

٣ — وحدثني نسيم * خادم أحمد بن طولون . قال : صار الى ابن سليمان بن ثابت . (وكان ابن سليمان هذا يكتب لخادم يعرف بشقير يتقلّد الطراز من خَدَم السلطان ، ثم عمل سليمان بعد ذلك لاحمد بن طولون على املاكه) ومعه رقعة . فقال توصلها لى الى الأمير ، فقرأتها فكان يذكر فيها ان شُقَيْرا أودع أباه أربع مائة ألف دينار . فلمّا قرأها الامير . قال: انظر ما تقول واصدقني عنه . فقال : الأمر والله على ما وصفته للأمير . فقال : امسكْ عن هذا واطوِ مجيئك الىّ عن أبيك وعن سائر الناس وانصرف مكلوّا .

فقال : فكثر تعجبي من امساكه عن ذكر هذا لابيه ، فلم يمض حولٌ حتى مات سليمان بن ثابت فاظهر غمّاً به وتفجعاً عليه . ثم دعا بابنه الرافع للرقعة ، فردّ اليه ما كان بيد أبيه من املاكه وضمّ اليه من الرجال من تقوى به يدُهُ ، وأقام به شهوراً ثم دعاه وأنا قائم بين يديه ، فقال له : كيف حالك مع مخلّفي أبيك ، وهل انكرت شيئاً منهم . فقال : قد أعزّ الله جانبي بالامير ومنع مني . فقال له : احمل الىّ الاربعمائة الف التي عندكم لشَقَيْر الخادم ، فلجلج . فردّ أمره الى أحمد بن اسماعيل * بن عمّار ، وأمره بمطالبته بالسوط . فضربه خمسين سوطا واصطفى ما كان

ولما جعل فى التنور قال له خادمه : ياسيدى قد صرتَ الى ماصرتَ اليه وليس لك حامد . فقال : وما نفع البرامكة صنعهم . فقال : ذكرك لهم هذه الساعة . فقال : صدقت . رحمه الله .

له ، فلم يجد عنده بعض ماتقوّله على أبيه ، وعاود مطالبته . فضربه مرّةً أخرى فمات .

فقال لى : فعجبتُ من هلاكه بهذا المقدار من الضرب . فاخبرتُ انّ هـذا المضروب كان يستزير الفواسـد من النساء فى وفور حاله فزارته امرأة كانت ربيطةً لجلاّدٍ بالسوط وعلم الجلاّد بذلك فبكّر اليه ووقف له حتى اذا خرج ، انكب على فخذِهِ وقبلّه . ثم قال : ياسيدي قد اغناك الله بمساءتى بمابسطه من الرزق عليك ، وظاهره من الاحسان لديك ، وكانت مهجتى عندك البارحة . فان رأيت أن تهبها لى فلك منها عوض ، وليس لى عنها معدل . فصاح فى وجهه وأمر بابعاده ، فلمّا شُدَّ بالعُقابين[1] تقدّم الجلاّد فضربه ضرب القتل فاتى على نفسه .

* * *

العمرى وغلمانه

٤ — وحدثني نسيم الخادم أيضا . أنّ أحمد بن طولون كان مذعوراً من خروج أبي عبد الرحمن العمري فوافاه الخبر بقتل غلمان أبى عبد الرحمن اياّه ، وانتشار أمره . ثم صار اليه جماعـة تقارب العشرة ومعهم رأس فقالوا: نحن غلمان العمري وهذا رأسه . فجمع الخاصّ والعامّ وادخلهم اليه ، واستحضر قوما استأمنوا اليه فسألهم عن الرأس . فاجمعوا على انه رأس أبي عبد الرحمن ، وانّ الغلمان من خاصته .

فقال أحمد بن طولون لهم : هل كان مسيئا اليكم . قالوا : لا والله

---

١) العقابان : خشبتان يشدبهما المضروب بكيفية مخصوصة ليتنع من الحركة .

ولقد كان محسنا الينا، ومُفْضِلا علينا . قال : فما حملكم على قتله . قالوا : طلبنا الحظوَة عنـدك ، والمكانة منك . فقال : قتلتم مولاكم المحسن اليكم بالتطرّب [1] الى المزيد . ثم أمر بهم فشق عن جماعتهم ، وأخذتهم السياط حتى سقطوا ، وضربوا على رؤوسهم بالشدوخ [2] حتى ماتوا جميعا وأمر بدفن رأس أبي عبد الرحمن .

*
* *

٥ — وسمعت أبا عُبَيد عليّ بن ‌* الحسين القاضي يحدث . قال متسلطعامل كانت لى بواسط حصّة اودّي عنها الى السلطان خَرْجا . فقدم علينـا عامل قد جمع من الظلم ، وسوء التسلط ،وفظاظة الطبـع .فجمع المعاملين بأسرهم على التّحيل له بمـا لا يوصـل اليـه من أملاكهم ، ولا يستحقه عليهم . فضرب قوما ، واستخف بآخرين . فقال له رجل ممّن حضر : إن رأيت أن تؤخرني الى نصف النهار . فقال له لعلك ممن يقول إنّ من عمود الى عمود فرجاً . فقال له الرجلُ : أنا والله اعتقـد من لحظة الى لحظة فرجا يُرْجى من الله ، فتضاحك من كلامه . فوالله مامضت ساعـة حتى دخلت الينا فى الموضع الذى كان فيـه رَعلَة من الخوارج وهي تقول : السُلَيْطين السُلَيْطين . فقطعتهُ بأسيافها وخرجت ،ولم تقتل غيره ، ولاطلبت شيئا لأحد . فعلمت أنهم عقُوبة اعتمدته .

---

١) قوله بالتطرب : كذا فى الاصـل ولعلها بمعنى التطرف أوالتطلب وتطرب به كاطرب به حمله على الطرب والطرب الفرح . ٢) الشدوخ : حجارة أوآلةممدة للشدخ والشدخ : الكسر وهوخاص فى كل رطب أوأجوف .

*
* *

عامل الصدقة ومتظلم

٦ — وحدثني عمر بن يزيد * البرقي (وكان جميل المذهب) . قال : حضرت مُصَدِّقا شديد الاستحلال، بعيداً من الرأفة. وهو جالس على رابية وبين يديه حَواء[1] يحتاز به ما يحصل له من الابل.

قال : فعُرِضَتْ نَعَمُ رجل حسن الطريقة ، متعالم بعفاف الطعمة . فتخيّر عليه المصدّق ما احتازه من ابله واستعمل من سوء التحكم عليه مالا يصبر عليه غيره فأمسك، ثم نظر بعد انفصال ما بينهما الى فصيل سمين كان فى إبله . فقال لغلمانه : خذوا هذا الفصيل حتى يصلح لنا غدا[2] . فقال صاحب الابل له : قد أخذت زيادة على حقك ، فما هذا قال : لا بدّ لى من أخذه. قال : فانى لا اسلمه. فأمر بوجء عنقه وأخذت مقادته من يده ، فصاح بأعلى صوته: « كل هذا بعينك يا جبّار». فحلف لي عمر أنه جاء من الجوّ فخلّ وخرج منه وهو يَرْغو ، فأخذ بعضده ولم يزل يضرب به الارض حتى قتله وانصرف الرجل بفصيله .

**

عدى بن زيد والنعمان

٧ — وفيما أخبر به الهيثم * بن عدى قال : كان عدي بن زيد قد تقدّم عند كسرى * ابرويز فى ترجمة العربى الى الفارسي . وكان رجلا[3] جارا للنعمان بن المنذر ، فرام منه النعمان أن يكون عينا له على كسرى

---

١) الحواء : بالفتح الصوت يسوق به الابل . و بالكسر جماعة البيوت المتدانية .
٢) الغدا : طعام الغدو خلاف العشاء . والغدوة أول النهار . ٣) قوله رجلا جار النعمان : أى محسوبا من اتباعه و رجالته فله عليه حق الجوار والتبعة .

فامتنع من ذلك ولم يرض بهذه السجية ، فتركه النعمان حتى اطمأن اليه ، ثم سأله أن يزوره . فكلم كسرى وسأله أن يأذن له فى زيارته شهراً واحداً ونصب عَدِيّ ابنه مكانه . (وكان حلو الشاهد ، مضطلعا بما يُسند اليه) . فأذن له فلما حصل فى يد النعمان قتله وكتب الى ابنه يخبره بأنه مات حتفَ أنفه[1] ، وانه على غاية من الأسى عليه . وتأدى خبر عدى الى ابنه على الصحة فلم يخرَق[2] فيه . وأقام يتتبّع غوائله ويعمل الحيلة فى اقتراض وتره .

فجرى فى يوم من الأيام ذكر الجواري بين كسرى وبين ابن عدى ، وكان أبرويز مستهتراً بهنّ . فقال ابن عدى : أحسن النساء حُرْقة بنت النعمان . فكتب ابرويز الى النعمان كتابا يأمره فيه بحمل حُرْقة أبنته اليه . فعظم هذا على النعمان ، وكتب اليه كتابا يذكر فيه قشَفَ[3] تربية العرب لاولادها ، وتقصيرهم بنذاذة الهيئة ، ووسخ المهنة

---

١) مات حتف أنفه : اذا مات على فراشه من غير ضرب ولا قتل . قال الجوهرى : ولا يبنى منه فعل . وخالفه ابن القوطية فقال : حتفه الله يحتفه حتفا من باب ضرب اذا أماته وقول العدل مقبول . وانما يختصون الانف بذلك لانهم يريدون ان روحه تخرج من أنفه بتتابع أنفاسه . ٢) قوله فلم يخرق فيه : الخرق الحمق ، أراد انه تأنى فى الاقتراض منه أى فى القصاص منه ولم يتعجل شأن الاخرق . والوتر : من وترت الرجل اذا قتلت حميمه فأفردته منه . وخبر ابن عدى وكيده للنعمان عند كسرى فى ثأر أبيه مبسوط فى كثير من كتب الاخبار . ٣) القشف : قذارة الجلد وعدم التعهد بالنظافة . وقوله وان فى عين العراق : (العين بالكسر) اراد النعمان جمع عيناء وهى العظيمة سواد العين فى سعة . وأراد به ابن عدى بقر الوحش يغالط بذلك كسر ليغيظه على النعمان .

وانّ في عين العراق للملك عوضاً منهنّ ، وأنفذ الكتاب الى كسري.
فأمر كسرى ابن عدى أن يقرأه عليه فأمرّه على طرفه ثم ألقاه وضرب
بيده على جبينه . وقال : لا يستطيع لساني مواجهة الملك بما فيه . فعزم
عليه الملك ليخبرنّه . فقال : « ابنتي لا تصلح لك ، فاذا قرمت[1] الى الجماع
فعليك بالبقر » . فغضب كسرى وأنفذ رُسُلاً اليه فاشخص . فلمّا قرب
من مقرّ كسرى أخرج أربعة ألف جارية بالحُليّ وفاخر الكسوة
وأذن له . ثم قال له بالفارسية : يا كلب من كان له هؤلاء يصلح له مجامعة
البقر . وأمر بشدّ يديه ورجليه ، وألقاه في الارض وأطلق الفيَلَة عليه
فوطئته حتى مات تحت قوائمها .

***

شريف ومريض

٨ — وفيما جاء به الزُّبيرُ بن بكّار . قال : اجتاز رجل من أشراف
المدينة بمريض مُلْقًى على كُناسَةٍ قريبة من منزل رجل من الأولياء[2]
اختلّت حاله ومرض ولا قيّم عليه ، وتبرّم به رفقاؤه فأخرجوه من
منزلهم وهو مُلْقًى في الطريق . فأمر الشريف بحمله الى منزله ،وتقدّم
الى ابنة عمه في حسن القيام عليه بحشمها ، وان تُرفّه عيشه الى أن تقضي
علّتهُ . فابتدره كل من في منزل الشريف بالخدمة حتى تكاملت صحته
وصار في منزلهم كأحدهم وقفلَ الى دمشق .

---

١) القرم : شدة الشهوة الى الشيء . والاصل فيه قرم الرجل الى اللحم اذا اشتدت
شهوته له . ٢) الاولياء : هنا ولاة الامر ، ويستعمله المؤلف كثيراً .

فلمّا كان فى الوقت الذي توجه جيش يزيد * للحرّة وافى فوقف على باب دارهم فظنوا به انه وافى لحمايتهم ، وحسن المدافعة عنهم ، ليقضيهم سوالفه لديه . فدخل الدار ومعه ثلاثة غلمان . فلما تمكن منها أخذوا فى جمع الاثاث . فقال لهم الشريف: ماهذا . فقال : «اني استوهبت دارك بما فيها من الامير ووهبها لى ، وكنتُ أحق الناس بها اذ كانت الاحوال بينى وبينكم وكيدة» . فقال له الشريف : رجعتَ يا ابن اللخناء الى لؤم أصلك ، وفساد مركبك ، ثم علاه بسيفه وفرّ الغلمان وهدئتْ وقدَةُ [1] الفتنة وطل دَمُهُ .

* * *

٩ — وحدثني نافع بن مصقلة * الحمصى . قال : سمعت أبي يقول رأيت مشائخنا مجتمعين على أمرٍ لحقه أسلافهم انه كان يسكن بحمص شابٌّ من أهل العراق حسن الصورة ، ليّن العريكة . فأقام بعهم مدة ، ثم صار الأمر بعد ذلك الى بنى العباس فتقلّد ذلك الفتى حمص وكان مولًى من موالى أبي العباس * . فلما دخلها قصد الى دار رئيس كان بها من أصحاب بنى أمية فذبحه فيها وجماعة من غلمانه . ثم خرج فأحسن السيرة ، وألان الجانب . فقيل له : ليس يُشبه ما أنت عليه ما فرَط منك الى الرجل الذي ذبحته وشملَه . فقال : اسمعوا منى ما جرى علىّ علنة . [2]

مولى للعباسيين وأموى

اجتزت به وقد نظّفتُ أثوابا لى لاأملك غيرها ، وقد دُعيت

---

١) وقدة الفتنة: اشتعالها . وطل دمه: أى هدر فلم يطالب به . ٢) كذا فى الاصل .

الى أمرٍ لا يسعُنى التأخر عنــه ، احتاج فيــه الى حسن الهيئة واظها التجمّل ومعي رسول من استحضرني وهو قاعد على الباب . فرائت دابتي بحيث تقع عليه من رحبة مبلّطة لداره . فأمضّني [1] وأمر الغلمان بترجيلي وضربي . فركبتني أيديهم ، ثم حلف الاّ أبرح حتي اكنس روث دوابي بيدي فى كمى ، وأحمله فى ثوبي وحجرى ، وأخـذت بجرِ رت الى ذلك . ولم تزل حاشيته تضحك مما نزل بى . فحـدّثت مولاي فاستحلفني بحقّه على غليظ ما آتيته اليه .

*
* *

احد الاكاسرة وولده

١٠ — ومما قرأته من سيَر العجم أن جماعة المنجمين حكموا لبعض الاكاسرة أن ابنه يقتله ويتولى ملـكه . فعمد كسرى الى سموم وَحِيّةٍ [2] فجعلها في قوارير وختمها وكتب عليها : « دواء للجماع الشربة مثقال ، وكانت وزنة قيراط تقتل من تلك السموم . وقال : إن كان الأمر كما حكاه المنجمون فسآخذ بطائلى منه . فعدا عليه ولده وقتله . وكان شديد المحبة للجماع ورأى تلك القوارير فشرب مثقالا فمات .

*
* *

مروان الجعدى وخالد ابن سهم

١١ — وحدثنى أحمد بن أبى يعقوب قال حدثنى أبى عن جدى واضح قال : سمعت خالد بن سهم يحدث المنصور وكان هذا الرجل خاصا بمروان بن محمد الجعدى . فطلب منه مروان جارية له كان يُحبّها

---

١) أمضّه الامر: اذا أوجعــه وآلمه . ٢) وحيــة : معجلة ومسرعة من قولهم توحى استعجل وأسرع .

وتجرّم عليه فأطال حبسه ، وأخذ الجارية منه . وكان ذا رأى ونجدة فلمّا استفحل أمر أبي مسلم * وكسر عساكر مروان أخرجه من الحبس ووعده جميلا . قال خالد: كان مروان يضحك من زي المسوّدة[1] ويقول : لو أسرناهم ما بلغنا بهم ما بلغوا بأنفسهم من التشويه والشُّهرة . فلما اضطر الى مُكَافحتهم ووَاقعهم. رأيته قد تهيّب مُعاركتهم فقال لى يا أبا يزيد (وما كناني قبل ذلك اليوم) : انى قد ارتعت فهل ذلك بيّن فيّ . قلت : بلى يا أمير المؤمنين . وكنت اداجنه[2] ويَسُرّني حؤول أمره . فقال : ما أجد قلبي يطيق مواقعتهم . فقلت : ان كان هذا فتحصّن منهم بالانهزام فان خيلك أنجى من خيلهم . فانهزم وتوقّف أصحابُ أبي مسلم عن طلبه . فلما بلغ الى سواده[3] قال لى: قد عزمت على الدخول الى بلد الروم (وكان من أصوب تدبير له) فنفَستُ[4] عليه بالرأي ، واستعملت مغالطته فقلت : تدخل باحداث من ولدك وشملك مستجيرين بكافر قد أمن

---

١) المسودة : العباسيون ورجالهم كانوا يسودون ثيابهم خلافا للمبيضة من الثنوية حتى غلب عليهم فلقبت الخلفاء منهم به لانهم قد بلغ بهم استعمال السواد منتهاه حتى حكى عن الرشيد انه جلس مجلساً عاما فى علته التى مات بها بطوس فى مضرب خز اسود استدارته أربعمائة ذراع قبابه مغشاة بخز اسود وهو جالس فى فازة خز اسود فى وسط المضرب والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة والاوتار والحبال كلها سود وعليه جبة خز سوداء وفوقها دراعة خز اسود . وقلنسوة طويلة وعمامة خز اسود . وهكذا كان سائر لباسهم وشعارهم ودثارهم . واول من أراد تغيير هذا الزى منهم المأمون فأنكر عليه عامة بنى العباس ذلك حتى عاد اليه . ٢) اداجنه : اى اداهنه يريد انه يغشه . ٣) سواد الامير : ثقله ومعسكره وسواد البلدة ما حولها من القرى والريف . ٤) نفس عليه بالرأى : أى حسده عليه وضن عليه بخيره .

سربه، واستقام أمره . ولعلّ ولدك يروقهم مايرونه في مملكته فيحملهم ذلك على التنصّر، ولأن تمادي في مسيرك حتى تدخل مصر فتجد فيها الرجال والكُرَاع[1] والمال، وتملك بها اختيارك . فركن الى قولي فسرنا فلما دخلنا مصر خرج الى صعيدها واستأمنت الى عامر * لحالٍ كانت بيني وبينه وقتل ببوصير الاشمونيين .

***

احمد بن طولون وابن المدبر

١٢ — ولما قدم احمد بن طولون الى مصر متقلّدا بها عمل المعونة . أهدى اليه أحمد * بن محمد بن مدبّر من دقّ[2] مصر ودوابها والرقيق المجلوب اليها مامقداره عشرة آلاف دينار . فردّ ذلك عليه وذكر انه لاحاجة له بشيء منه . فثقل ذلك على ابن مدبّر . وقال : ماينبغي أن يثق السلطانُ بمن لم يكن لعشرة ألف دينار في عينه قَدْرٌ على طرف من أطراف مملكته . فلما مضت أيام بعث اليه : قد كنتَ أنفذت اليّ طائفة من برّك فرددتُها عند وقوع الاستغناء عنها . وقد بلغني انّ عندك مائة رجل من مولّدي الغَوْر[3] وبي اليهم أمسّ حاجة . قال ابن المدبر : قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى . يَرُدُّ الأعراض والاموال ويستهدي الرجال . وكان حسين * بن شعرة مضحك المتوكل * على الله قد انضوى اليه فحمى به ضياعه وأملاكه ، ووقف على استثقال ابن

---

١) الكراع : الخيل والبغال والحمير . ٢) دقّ مصر : طُرَف أموالها ومايصنع بها . ٣) الغَوْر : كل ماانخفض من الارض خلاف النجد . واسم مشترك لعدة مواضع : منها مابين ذات عِرْق الى البحر وكل ما انحدر عن تهامة . ومنخفض بين القدس وحوران مسيرة ثلاثة أيام في عرض فرسخين .

مدبّراً لاحمد بن طولون وأخرج حكايته فى ترمّته[1] وكلامه فيضحك ابن مدبر ومن حضره. فاتصل ذلك بابن طولون فاحضره ثم قال له: «بلغنى انك تتنادر بى ولك فى الناس مَندوحة فاحذرنى، فانك ان وقعت لم ينفعك ابن المدبّر ولا غيره». فجحد هذا واعتذر اليه منه. ثم انصرف الى ابن المدبر وقال: ياسيدى لو شاهدت أحمد بن طولون يؤنبنى. فقال: ماقال لك؟ قال: أصبرْ حتى أُريك حكاية صورته ومعاتبته. ثم تلبّسَ وجلس يحكيه ويقتصّ مالقيه به. ثم اتصل ذلك باحمد بن طولون فامسك عنه وتتبّع غوائله.

واضطربت الرعية لنزاع السعر وقد بلغ ثلاثة أرادب حنطة بدينار. فركب وتقدّم بعقوبة القمّاحين وازدحمت النظارة من السطوح عليه، فوقع مركن[2] فيه ريحان الى الارض بزاحمة من تشوّف اليه من النساء. فمسح كفل دابة احمد بن طولون. فسأل عن الدار: لمن هى؟ فقالوا لحسين بن شعرة! فاحضره وضربه ثلاثمائة سوط وطاف به وكان ما أوقعه به من أجل متقدّم سوالفه اليه ولم يفلح الحسين بن شعرة بعدها. وزاد أمر احمد بن طولون فى القوّة وزيادة المال ووفور الكفاية حتى تهيّبه ابن مدبر.

---

١) فى ترمته: كذا فى الاصل (بالزاى والميم مشددة) والزّمت طائر يتلون ألواناً متغايرة فكأنه انتزع منه الفعل لمحاكاته من يتمثل به. ٢) المركن: الاجّانة تغسل بها الثياب هذا هو الاصل فيه. و فى القاموس المركن كمنبر آنية معلومة. قلت: وماهو خاص بالرياحين تسمى عند أهل مصر قصارى وعند أهل الشام شقوف وتكون من الفخار —

فحدثني ابو العباس الطرسوسي انه سمع احمد بن طولون يقول له : يا أبا الحسن أنشدك الله ان تعرضت لي ولا ترسّمت بعداوتي ، فقد اجتهدت في استصلاحك فلم أصل الى ذلك . فقال له ابن مدبر : والله ما أردّ أمرك فيما اتقلده واني فيه كالمقيم من قِبَلك ، فأي شيء انكرت عليّ حتى اجتنبه . فقال : أنكر عليك المكاتبة الى الحضرة وقد قلدتك البغي[1] . فحلف له ابن المدبر انه لا يكتب الا بشكره . وصرف ابن المدبر عن مصر بابي أيوب * بن أخت أبي الوزير فلما اجمع الشخوص عنها قال له أحمد بن طولون : يا أبا الحسن لو أردت بك سوءًا لقدرت عليه . واحتاج الى أن تجدّد تلك اليمين . فحلف له بالمحرجات انه لا يألو حرصًا في تزيين آثاره وتطييب اخباره ، واشهد عليه الله بذلك وخرج عن مصر متقلدا للشام فأقام مع ماجور *

فحدثتني نعت مولاة احمد بن طولون وأم ثلاث بنات كنّ له فقالت كنت عند مولاي بائتة فسمعته يحلم في نومه فخفت أن أنبهه فينكر عليّ هذا فانتبه وجلس ومسح عينيه وقال : « خير ان شاء الله » . فسألته عما رأى فقال : رأيت ابن مدبر قائما في وسط برية ومعه قوس موترة وسهام وأنا تجاهه قائم ومعي جميع السلاح الا القوس وبيننا نهر فكأنه يسدّد السهم نحوي ويرمي فأخطأني . وكانّ قائلا يقول : لو رماك يومه كله لما أصابك به لانه عاهدك وما يضر هذا الفعل غير نفسه . فكأنه اشتد

---

١) في الاصل : وقد قلد (تك) مهملة . ولعله من قلد محركة بمعنى جمع بك البغي .

عليّ انهما كه في الرمي لي وليس في يدي غير سيف وشرخ [1] وماأشبهها لا تعمل في البعد. وقد حال النهر بيني وبين العبور اليه. فانا على هذا حتي نضب النهر فلم يبق فيه قطرة فعبرت اليه فكأني كنت كلما قربت منه يصغر حتى صار بمنزلة من يواريه الكف فأخذته بيدي استطرفه ثم ألقيته من قامتي على رأسه فمات . فتأولت سهامه المكاتبة فيّ والتحريض علي ، والنهر الذى منعني منه مقام ماجور بدمشق ، ونضوبه موت ماجور وصغره قدرتي عليه ، واحتيازه في كفي قبضي عليه، وقول القائل لي في السهام انها تخطيك ان الله لا يعينه عليّ . فحدثت هـذا الحديث سعد الفرغاني غلام احمد بن طولون فقال لي ماسمعت بهذا الا منك والذى عندي من خبره مطابق لهذه الرؤيا وذلك ان الحسن* بن مخلد بَرِم [2] بكيد الكتّاب وانتقاض الاولياء فكتب الى احمد بن طولون يذكر له رغبته في المقام بمصر* فكتب اليه احمد بن طولون انما أناوليك ومقام صنيعة من صنائعك وصوّب رأيه فيما آثره . فخج من بغداد وثنى عنانه الى مصر فمنعه صاحب البذرقة [3] فانفذ كتبا الى احمد بن طولون فكان أول ماصدر منها الينا أربعين كتابا جميعا بخط ابن المدبر يُعظم فيها أمر احمد بن طولون ويقول: انه قدعزم على أن يجلس خليفة ويصفه بكل غدر فعجب منها ابن طولون ثم مات ماجور واحتاز دمشق والشام وأنفذني الى الرملة

١) الشرخ : نصل لم يركب عليه قائمه . ٢) برم : أى سئم وملّ .
٣) صاحب البذرقة : صاحب الخفارة والمبذرق الخفير . وقوله فانفذ كتبا ، في الاصل فانفذ كتابا .

فقبضت عليه وأشخصته اليه فأقام مدة فى حبس ضيق وجفو مّما جرت
به عادته حتى ذهب بصره ومات .

*
* *

ابن المدبر ومتقبل

١٢ — وحدثنى سهل بن سيف . قال رجعت [مرة] مع احمد بن محمد ابن مدبر الى داره فاستقبلته امرأة : فقالت أيها السيد نحن مائة عَيّـل على فلان المتقبّل وقد ضاع شمله لحبسه فاتق دعوة تعرج الى الله منافيك . فقـال وهو متهزئ : « اذا عزمتم على هذا فليكن الدعاء فى السحر فانه أنجع له » . قال لى سهل : فارتعت من الـكلمة . فما مضى له شهر حتى تقلّد محمد بن هلال الخراج وصرفه عنه واجتمعا عند احمد بن طولون فاهتدى محمد بن هلال الى ما لم يَظُنّ انه يقف عليه لانه أول ما ناظره قال : رزق الخراج كذا وكذا . وارزاق الدواوين المضافة اليه كذا وكذا فهل قبضت جملة هذه الارزاق . قال ابن المدبر : نعم . ماحضرنى كتاب أمير المؤمنين باطلاق جميـع الرزق لك لانه يجوز أن يكون استعملك على جميع الاعمال برزق الخراج وحده . فانقطع [الى] ابن المدبر وطالبه بالمال فقال : مايلزمنى . وردّ الى يد محمد بن هلال فالبس جبة كانت على بعض السّاسة وأقيم فى الطريق على كناسة وختمت الجبة فى عنقه .

فـكان أول من وافاه الإمرأة التي قال لها يكون دعاؤك فى السحر هو أنجع له . فقالت: جزاك الله يا أبا الحسن خيراً فقد نفعتنا باكثر مما ضررتنا . لاًتناجرّ بناما أشرت به فوجدناه أنجع شئ يلتمس . فبكى

ومن حوله من الموكلين به وانصرفت المرأة داعية له .

***

١٣ — وكان محمد بن أبي* الساج قد هادن خمارويه * بن احمد خمارويه وابن ابن طولون وحلف بالمحرجات انه لايشاقه ولا يجهز اليه جيشا أبداً ابي الساج وخلّف عنده ابنه المعروف بداود رهينة فسكن خمارويه الى هذا . ثم تواترت الأخبار بتجييشه عليه ، وما آثره من المسير اليه . فدعا بابنه وقال: قد نقض أبوك ما بيني وبينه . فقال ياسيدي ما أعرف لي أبا غيرك فرّق له وأجازه واقر اترابه[١] . ثم توجه الى ابن أبي الساج فالتقيا بالثنية .

فحدثني أبو عبد الله محمد بن اسماعيل* بن القاسم بن ابراهيم بن طباطبا (وكان معه) قال: لما ترآى الجمعان أمر بالقاء حصير الصلاة فألقيت ونزلتُ معه فصلّى ركعتين فلما استتمها أدخل يده في خُفّهِ فأخرج منه خط ابن أبي الساج الذى حلف فيه بوكيد الايمان انه لايحاربه . فقال: اللهم انى رضيت بما أعطانيه من الايمان بك ووثقت بكفايتك إياى غدرهُ وبحلفه واجترائه على الحنث بما أكده لى اغتراراً بحلمك عنه فأدلِني عليه[٢] . ثم ركب فرأيت ميمنة خمارويه قد انهزمت وتبعتها ميسرته فحمل في شرذمة يسيرة على جيش ابن أبي الساج وهو في غاية من الوفور فانهزموا باسرهم فوقف على نشزٍ وأطفت ومن حضره به فاستأمنتْ الينا عِدة كثيرة . فقلت له: ان مقامنا أيها الامير مع هذه الجماعة خطر فأمرني بالمسير

---

١) فى الاصل (واقرابه) مهملة . والاتراب الاصحاب والاخدان ولعل هذا منه

٢) فادلنى عليه : من الادالة وهى الغلبة أى فاجعل لى الغلبة عليه .

بهم الى مستقر سواده فسرت معهم وأنا على رقُبَةٍ من طمع فيه أو كيد له فبلغوا نهراً احتاجوا الى عبوره فرأيتهم قد خلعوا الخِفاف وحطوا الرحال وسلكوا سلوك المطمئن فانست اليهم .

***

قريب لابن يعفر وعجوز يمانية

١٤ — وكان فى حارتنا شاب قد قدم من العراق ذكى الروح هادى السعى . يذكر انه قرابة لابن يعفر القائم كان باليمن . وكان بعصر فى دون قومه . فأشار عليه من شاهد ابن يعفر وسعة أمره بالخروج اليه فأخذتُ له حجة [١] من بعض أهلنا وأضفت اليها برّاً يفى بتحمله وخرج فلقى بمكة عجوزاً يمانية جليلة القدر فيهم . فعرّفها موضعه فقالت : أنا أتكفّل بمؤنتك وتحملك واغتنم هذه اليد عند الامير . وحملته حتى صارت به الى عشيرتها . فقالت لهم : ان ابن يعفر قتل منا فى العام الماضى رجلا ومعي قرابة له فاقتلوه به . واجتمع الحى وتسلّمه أولياء القتيل فلما جُرِّد السيف اضطرب وبكي . فقال أولياء القتيل ما نرضى أن نقتل هذا بصاحبنا صاحبُنا شجاع وهذا جبان فبعثوا به الى ابن يعفر وقالوا لرسولهم اليه : انّا لا نرضى أن نقتاد من هذا . فلما وافى ابن يعفر دعا له بالسيف والنطع ليقتله وقال هتكتنى فى هذا الحى من العرب . فقال له وزيره : انّ هذا الفتى خرج من فاقة وأمن الى موقف تُضرب فيه عنقه فاضطرب وانما يقتل الامير من قاد الجيوش وتطعّم بحلاوة الامر والنهى فيه وتمكن من الرئاسة ثم عدل به طبعه الى الخوَر والذى أراه للأمير أن يعقد له الرئاسة على جماعته

---

١) حجة : أى نفقة حجة عمن وجب عليه الحج وتوفى قبل ان يحج .

وينفذه الى مهماته. فانّ أكثر الفضائل انما تظهر بحسن الارتياض. ففعل الملك ما أشار به عليه وزيره.

فحدثني أبو عبد الله محمد* بن عامر اليماني انه درج بهذا التدبير فظهر من شجاعته مالم ير فى آل يعفر مثله ثم غزا الحي الذى كانت تلك العجوز منهم فقتل أولاداً كانوا لها وأفقر به ذلك الحي.

***

الخيزران أم الرشيد وامرأة هشام

١٥ — وحدثني يوسف بن ابراهيم [والدي]. قال: حدثني ابراهيم* بن المهدي انه دخل على الخيزران* أم الرشيد فوجدها جالسة في الدار المعروفة بها[1] (وصارت الى أم محمد بنت الرشيد بعدها) على نمط ارمينى[2] والنمط على بساط ارميني وعن يمين النمط ويساره نمارق ارمينية وعلى أعلى نمرقة منها زينب* بنت سليمان بن على وعلى يسار النمارق أمهات أولاد المنصور ونسوة من نساء بنى هاشم. اذ وقفت امرأة على طرف البساط فسلمت ثم قالت: يازوج أمير المؤمنين أنا مزنة* زوج هشام بن عبد الملك ثم مروان ابن محمد من بعده نكبها الزمن، وزلت بها النعل حتى أصارها الى عارية ماتستتر به مما عليها. فتبينّت الدموع تدور فى عين الخيزران وخافت زينب أن تدخلها رقة. فقطعت على مزنة الكلام بأن قالت: ياأم أمير المؤمنين اتقى الله أن يدخلك رأفة بهذه الملعونة فتتبوئي مقعدك من

---

١) الخيزران: بضم الزاى شجر بالهند معروف. ودار الخيزران ببغداد معروفة بها وقال فى القاموس بمكة بنتها خيزران جارية الخليفة ولعلها دار أخرى.

٢) النمط: ظهارة فراش مّا. والنمارق الوسائد الصغيرة.

النار . ثم التفت الى مُرّية فقالت لها: بك فدام ما أنت فيه يامُرية كأنك نسيت دخولي عليك بحرّان وأنت جالسة بصحن دار مروان على هذا النمط وتحته هذا البساط وعن يمين عطك ويساره هذه النمارق وعليها أمهات أولاد جبابرتكم وقد مثلت فى مثل هذا المكان الذي أنت فيه ماثلة وأنا أسألك وأتضرع اليك فى استيهاب جُثّة ابراهيم * الامام من مروان لئلا يمثّل به. وقولك وأنت كالحة فى وجهي : ماللنساء والدخول في أمور الرجال. ثم أمرت باخراجي من دارك بغلظة فلجأت الى مروان فوجدته على حالٍ أشدّ تعطفا على رحمهِ منك. وقال لى: لقد ساءتني وفاة ابن عمى وما دبرت المثلة [به] وقد خيرني بين اطلاق تجهيزه له وبين تسليمه اليّ فاخترت تسليمه وأمر له بجهازٍ فقبلته منه .

قال ابراهيم : فالتفتت مرية الى زينب فقالت لها : « كأنك يابنت سليمان حمدت لى عاقبة أمري فى قطيعتى رحمي فأردت أن تزيني قطيعة الرحم لامّ أمير المؤمنين » . ثم التفتت الى الخيزران فقالت : «قد صدقت زينب فيما ذكرت عنى، وذلك الفعل مني أحلني هذا المحل . والسعيد من اتعظ بغيره»، وانصرفت . فبعثت اليها الخيزران ماأعاد اليها [حالها] وكف اختلالها .

***

اليون ملك الروم وميخائيل البطريق

١٦ — وحدثني يوسف بن ابراهيم والدي . انه سمع بطوس رجلا يحدث ابراهيم بن المهدي :ان نقفور الملك لما تأدى اليه الخبر بوفاة الرشيد

جعل ذلك اليوم عيـدا للروم ، ثم جعل عيدا أعظم منه فى اليوم الذى تأدى اليه وقوع الشر بين محمـد الامين والمأمون ، ثم عيّد عيداً ثالثـا فى الوقت الذى بلغه خروج أبى السرايا ، ثم خرج الى البُرْجان ليحاربهـم فقُتل . فسأل بطارقة الروم بطريقهم اختيار رجل ليقلّد مملـكتهم فاتفق معهم على رجل من أبناء العرب يقـال له اليون[1] فملكوه . وكان ذا نكاية

١) الذى تزعم الروم انه من ابناء العرب هو نقفور وانه من اولاد جفنة من غسان وكان قبل المُلك عليهم يلى ديوان الخراج لهـم ذكره الطبرى . وانه لما ملك واستوثقت له الروم بالطاعة كتب الى الرشيد : من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب ، أما بعد فان الملـكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق . فحملت اليك من أموالهـا ما كنت حقيقا بحمل امثالهـا اليها . لـكن ذلك ضعف النساء وحمقهن . فاذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من اموالهـا ، وافتد نفسـك بما يقع به المصادرة لك . والا فالسيف بيننا وبينـك . قال فلما قرأ الرشيد الـكتاب استفزه الغضب حتى لم يمكن احدا أن ينظر اليه دون أن يخاطبه . وتفرق جلساؤه خوفا من زيادة قول او فعل يكون منهم . واستعجم الرأى على الوزير من ان يشير عليـه او يتركه يستبد برأيه دونه فدعا بدواة وكتب على ظهر الـكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم . من هرون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم : « قد قرأت كتابك يا ابن الـكافرة . والجواب ما تراه دون ان تسمعه والسلام » . ثم شـخص من يومـه حتى أناخ بباب هرقلة ففتح وغنم واصطفى وأفاد وخرّب واصطلم . فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه فى كل سنة فاجابه الى ذلك . فلما رجع من غزوته وصار بالرقة نقض نقفور العهد وكان البرد شديدا وقد يئس نقفور من رجعته اليه وجاء الخبر بذلك فما تهيأ لاحد اخباره اشفاقا عليه وعلى أنفسهم من الـكرة فى مثل تلك الايام فاحتيل له بشاعر فقال :

نقضَ الذى أعطيته نقفورُ * وعليه دائرة البوار تدور
ابشرْ أمير المؤمنين فانه * غنم أتاك به الالهُ كبير

فدفع عنهم وقبة البُرْجان وقوى اليون على ضبط المملكة . وكانت الروم في أيامه اعزّ منها في أيام نقفور الا انهم أنكروا عليه بسط اليد بالهبات والعفو عن أسرى المسلمين . ثم اجتمعت البطارقة الاثنى عشر في مجلس على نبيذ لهم فتذاكروا أمره واستشنعوا فعله . وكان أغلظهم كَذِحا عليه ميخائيل البطريق الذى ملكهم وملكتهم امرأة بعده . فبلغ اجتماعهم وماقالوا اليونَ . فوجّه في يوم سبت الى ميخائيل فاحضره ثم دعا بتليس[1] من شعر بطول ميخائيل فادخل رجلاه في قرارة التليس ثم أمر بالتليس فرفع وأقيم ميخائيل فبلغ رأس التليس الي رأسه . ثم أمر أن يحشى رملا فحشي فبلغ الرمل فم التليس . ثم أمر فخيط بشعر جُمّة ميخائيل ودعا الطباخين فأمرهم أن يُعدوا له طعاما كثيرا مثل مايُعَدّ في الاعياد ثم قال للبطارقة وميخائيل بين يديه على تلك الحال: اذا نحن تقربنا في غد القيت ميخائيل في البحر ثم تغدينا وجعلناه يوم سرور .

(في أبيات ذكرها الطبرى في تاريخه) فلما فرغ من انشاده قال: أوقد فعل نقفور ذلك . وعلم ان الوزراء قد احتالوا له في ذلك فكرّ راجعا في أشد محنة، وأغلظ كلفة، حتى أناخ بفنائه فلم يبرح حتى رضي وبلغ ماأراد . فقال أبوالعتاهية .

ألا نادت هِرقلةُ بالخراب * من الملك الموفّق بالصواب

غدا هارون يرعد بالمنايا * ويبرق بالمذكرة القضاب

أميرالمؤمنين ظفرت فاسلمْ * وابشر بالغنيمة والاياب

فامثل هذا جعل نقفور وفاة الرشيد يوم عيد لهم وكانت وقعة الرشيد بهم سنة ١٨٧ . واجتمعت الروم على قتل اليون وتمليك ميخائيل بن جورجس عليهم ثانية أواخر سنة ٢٠٠ .

١) التليس : كيس يكون من الخوص أو خلافه وعبارة القاموس وَهَنَة تسوى من الخوص وكيس الحساب .

قال بطرس : فاجتمع البطارقة بعد انصرافهم من عنده وقالوا هذا العربي قد امتدّت يده الى ميخائيل ونخاف أن يجترئ على كافتنا. فاجمعوا على الاشتمال على سيوفهم والدخول اليه وقتله ففعلوا ذلك. ثم جلسوا للمشاورة فيمن يُنْصَب بمكانه واستشرف كل واحد منهم الى أن يكون ملكا. فقال أحدهم لسائر الجماعة : الصواب أن تملكوا ميخائيل فانه يرى انكم أنعمتم عليه بالحياة . فاستشرفوا الى ذلك ورأوا موضع السّداد منه فأخرجوه من التليس وغسلوه وأحضروا البطريق وثياب الملك فألبسوه إياها واعلموه انّ اليون قد قتل وملكوه عليهم.

ثم صاروا الى مجلس المملكة والموائد منصوبة . فقالوا له : تغذ أيها الملك بالطعام الذي دبّر اليون أن يأكله بعد قتلك . فقال ميخائيل: عار بالملك أن يطعم طعاما وفى عنقه يد لانسان من أوليائه ورعيته قبل أن يكافئه عنها ، وقد أحييتموني بعد موتي ولست أطعم طعاما حتى يخبرني كل انسان منكم بجميع حوائجه فى مدة عمره . فقال كل واحد منهم ما تناهى اليه أمله مما يصل ميخائيل الملك اليه . فقضى جميع حوائجهم . وسألوه الأكل فقال : قد فرغنا مما يجب لكم وبقي [ما] لله وللملك اليون ،ولا يحسن بي أن آكل حتى أفعل ما يجب لهما . ثم قال للبطريق : ماجزاء من منع ملكا عليه من شم النسيم وروح الحياة . قال البطريق : يمنع النسيم وروح الحياة . فقال لهم : قد حكم عليكم البطريق بما لا يجوز خلافه وأمر بضرب أعناقهم وابتدأ بطعامه .

* * *

سيف بن ذي يزن والمتغلب عليه

١٧ — ومما نقله ابن المقفع عن الفرس وتعالمه العرب : ان ملك الحبشة لما غلب على مملكة سيف بن ذي يزن خرج الى كسرى مستصرخا اليه ومستجيرا به عليه . وكان ملك الحبشة يُجرى على ترجمان كسرى رزقا مثيبا على تحريف دعوى المتظلمين منه . وكان لكسرى يوم فى كل شهر يركب فيه ويقرب من عامته ومن لا يصل اليه ممن انتجعه . فتوخى سيف ابن ذى يزن ركوبه في ذلك اليوم فلما رآه قال: اسعد الله الملك أنا سيف بن ذى يزن أغار على متملّك الحبشة بفرط تعديه ، وسوء جواره، فأخرجنى من مملكة عمرتها أنا وآبائى مذ أكثر من مائتى سنة . وأنا أسأل الملك أن ينجدنى عليه ويردنى بطوله الى مملكتى ومملكة آبائى . فسأل الترجمان عن قوله فقال يقول: أنا رجل من جِلّة العرب وقد اختلت حالى ، واضطرب شملى لشدة الفاقة وقد قصدت الملك مسترا به ، ومستميرا منه . فأمر له بجائزة فرأى سيف بن ذي يزن مالا يشبه ما ابتدأه به . وصبر الى اليوم الذي يسهل فيه كلامه وانتظره فيه . فلما رآه قال: أنا أيد الله الملك ذو نعمةٍ وكفايةٍ ، وإنما وفدت على الملك لاقتبس من عزه ، وانتصر بقوته . فسأل الترجمان عما قال . فقال: يقول أمرت بما يقصر عن حاجتي . فأمر له بجائزة أخرى فوقف على تحريف الترجمان لكلامه . فانتظره فى اليوم الثالث فلما رآه قال : أيد الله الملك انّ الغادر ... ! فأدى اليه هذا الحرف فقال الخائن ... ! فرأى فى وجه

الملك الاستفهام . فقـال : الـكذاب ...! فأشار اليه الملك بيده من هو ؟ فأومى الى الترجمان . فأحضر الملك ترجمانا آخر ، فقص عليـه قصته . فضرب عنق الترجمان وأحسن تلقى سيف بن ذي يزن لما تبين منه فى التأنى لافهامه . ثم أحضره مجلسه ، فسأله عن مقدار حاجته ، وما الذى يؤثره من أصناف الناس . فقال له : أسأل الملك أن يطلق لى من محابسه الـكهولَ فانهم أصبر فى المعارك ، وأسمح بالنفوس ، فأطلق له جمـلة من [فى] الحبس كهولا بأسرهم ، فحملهم فى مراكب وركب معهم حتى وافى مملـكته . فلما نزل جميعُهم أحرق المراكب ، واعتمد ذلك سراً منهم ، فلما نظروا الى المراكب قد أحرقت . قال للرجال : انه لايحسن بكم التعذير فى القتال فتهلـكون ، ولـكن جـدوا جدّ من لا نجـاة له فى البحر . فجرّد الجيش العناية ، وصدقوا حتى بزوا على من أقام بمملـكته ، واحتازوا له طائفة كبيرة من أرض الحبشة، وقهر ملـكها واتقى جانبه[1] .

---

١) قصة وفود ابن ذى يزن على كسرى بعد ان اتى هرقل فلم ينجده ذكرها عامة مؤرخى العرب . وذكروا انّ كسرى أمدّه بمن كان فى سجونه من ذوى النجدة وقد بلغوا ثمانى مائة نفر وقوّد عليهم وهرز احد أساورته وكان يعدُله بالف أسوار وجهزهم فى البحر بثمانى سفائن فغرقت سفينتان منهم وسلم الست . وانهم خرجوا بساحل حضرموت ونزلوا سيف البحر منه . ثم ذكروا حرق وهرز للسفائن لئلا يطمع من معـه فى العود لبـلادهم وانتصارهم على ملك اليمن المتغلّب وسماه ابن جرير مسروق . وفى ابن ذى يزن وما كان منـه ومن وهرز والفرس يقول أبو الصلت الثقفى :

***

أبي الوزير وجماعة من العمال

١٨ — وحدثني هارون بن ملول . قال : تقلد أبو الوزير خالُ أبي أيوب الخراجَ على حال اضطرابٍ من الأولياء ، واستعمل من فرطِ الاستقصاء على أرباب الخراجات ، واخراج البقوط[١] عليهم ماثقُلت به وطأته على الناس . وكان له كاتب ذهب عني اسمُه ، في النهاية من الجزالة والضبط ، وكان يُعزى اليه أكثر صنيع أبي الوزير . فقال لي هارون : فقصده جماعةٌ من الأولياء فاحسّ بالشر فيهم ، فأغلق الباب عنهم ، ثم تأملهم حتى عرفَهم فكتب بفحمةٍ : « ياسيدى قتلني فلان وفلان » وسمى جماعة رؤسائهم . وكسروا الباب ودخلوا اليه فقتلوه . وركب أبو الوزير حتى شاهده ، ثم تأمل حائط مجلسه ، فوجد الكتاب بالفحمة

ليطلب الوِتر امثالُ ابن ذى يزن ... رَيّم فى البحر للاعداء احوالا
أتى هرقل وقدْ شالت نعامتهمْ ... فلم يجد عنده بعض الذى قالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعةٍ ... من السنين لقد ابعدت ايغالا
حتى أتى ببنى الاحرار يحملُهم ... إنكَ لعمرى قد اطوَلت قلقالا
مَن مثلُ كسرى شهنشاه الملوك له ... اومثلُ وهرِزَ يوم الجيش إذ صالا
لله درُّهم من عُصبةٍ خرجوا ... ما إن ترى لهمُ فى الناس امثالا
غرٌّ جحاجحة بيض مرازبة ... اسد تربّب فى الغيضات اشبالا
يرمون عن شدُفٍ كانها عبط ... فى زمخرٍ يعجل المرمىّ اعجالا
ارسلت اسداً على سود الكلاب فقد ... اضحى شريدهم فى الارض فُلّالا
فاشرب هنيئا عليك التاج متكئا ... فى رأس غِمدان داراً منك مِحلالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعدُ ابوالا

١) البقط : أن تعطى الرجل البستان أو الارض على الثلث أو الربع .

فقبض عليهم فصدقوا عنه وقتلوا به .

*
* *

ابن الابرد وكاتبه

١٩ — وكان لرجل من جُلّة كتّاب الجيش بمصر (يعرف بابن الابرد) رغبة فى وصفه بالنصح فى أعمال السلطان ولابسه محمد بن أبا[ ][1] فقدّم العناية به والتعصب له ، ومكّن له عند خمارويه محلا رد اليه بعض أعماله من الخراج ، واحتاج فيه الى كاتب يحمل عنه ، فارتاد رجلا يعرف بنصر بن القاسم يخلف [ابن] الابرد فيما أسند اليه ، فكان يسعى به الى كاتب خمارويه ، فكتب يوما رقعة تشتمل على ما كرهه ابن الادبر من التغميز به ، والانتقاص له . ويشير فيها بأشياء تفسد محله ، وبعث بها الى كاتب خمارويه . فغلط الغلام وجاء به الى ابن الادبر ، فاستعرض فيها أشياء قبيحة وفارق الكاتب . ورأى الكاتبُ انه قد أحرز بما أتاه من السعاية مكانة عند كاتب خمارويه . وقتل خمارويه وثبتت يد كاتبه على الامر ، فرام نصر بن القاسم أن يدخل فى جملته ، فامتنع من ذلك وقال : «من سعى الينا سعي بنا» . فمات نصر بن القاسم كمداً .

*
* *

عمرو بن العاص وتنكره

٢٠ — وسمعت سعيد بن عبدالله * بن الحكم يقول : «وجد فى أخبار مصر المسندة» . ان عمرو بن العاص عند تغلبه على مصر كان يتنكر ويخرج وحده متشبها بالرجل من عامته ليرى ما عليه القبط من النية

---

١) سقطت كنيته من الاصل .

للمسلمين. فتمادى به السير راجلا حتى لحق بطرف من الفسطاط فرأى جماعة قد التأمت على سوء فيه . فقال لها : اعملوا بي كلمّا تؤثرون من السوء ولا تردوني الى يد الامير فاني هربت منه . فقال بعضهم : ردوه الى يد الامير فانه يقتله ويكون لكم بذلك عارفة عند الامير . فساقوه الى دار [الامارة] فأخذ يتضوّر ويتأبى في سياقته حتى قرب من الدار ، فقام اليه الشُرط . فقال : لا يفوتنكم منهم أحد . فجُمعوا له فأتى على آخرهم ولم يعاود التنكر .

***

الدفانى والخناق

٢١ — وكنت أعرف شيخا في أيام خمارويه . حلو النادرة ، مليح الألفاظ ، يعرف بالدفاني . وكان معاشه من التوصل بكتب الولاة الى عامليهم . فحدثني انه خرج بكتب الى الشرقية فالتقى مع رجل في زي بعض المانية [1] من الاطباء وهو على حمار بخرجين وكنت على حمار ، فاستخبرني عن صناعتي فتحسنت عنده بأن قلت : أنا تاجر في الغلاّت فطمع فيّ وكان مبنّجا . فقال لي : هذا موضع طيب فلو أكلنا فيه . فقلت : ذاك اليك ، فاخرج من أحد خرجيه رغيفين مشطورين فوضع أحدهما بين يدي والآخر بين يديه . ثم أخذ كوزاً معه ومضى يسعى به فشرهت نفسي الى الرغيف الذى كان بين يديه ، فأبدلته حتى صار بين

---

١) المانية : ويقال لهم المانوية أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذى ظهر في أيام شابور بن ازدشير وقتله ابنه بهرام

يدىّ وصار رغيفى بين يديه ، وجاء بالماء وابتدأنا بالاكل فما ابتلع لقمة حتى شخص بصره وتمدّد ، واجتاز بنا جماعة فقالوا : ما لصاحبك ؟ قلت : لا أدرى والله ! فقالوا لى : أنت مبنج بنجت هذا المسكين ، وساقونى .

فكان من لطف الله أنّ خليفة لموسى بن طُونيق كان ببلدهم ويجاورنى يتقلد المعونة ، فساقنى القوم اليه والرجل محمول معنا ، وهم يقودون الحمارين وقالوا له : هذا مُبَنّج وجدناه . فلما رآنى ضحك الىّ وقال : متى تعلمت التبنيج ؟ قلت : اليوم ، وقصصت عليه خبرى وأخرجت كتاب موسى بن طُونيق فى برى ، ففتش خرجه فوجد فيه شطاير تبنيج وشطاير خالية ووجد معها أوتارا للخنق وأحجاراً للشدخ ، فشدخ رأسه بها ، وخنقه بتلك الاوتار حتى فاظ [1] .

وإذ وفينا ما وعدناك به من أخبار المكافأة على الحسن والقبيح مارجونا أن يكون ذلك عوْنا للاستكثار من مواصلة الخير ، وتطلب العارفة فى الحسَن . وزجر النفس عن متابعة الشر ، وابعادها عن سورة الانتقام فى القبيح . وقد قالوا : الخير بالخير والبادى أخير ، والشر بالشر والبادي أظلم . رأيت أنْ أصل ذلك حفظك الله بطرفٍ من أخبار من ابتلى فصبر ، فكان ثمرة صبره حسن العقبي

لأنّ النفس اذا لم تعن عند الشدائد بما يجدّد قواها تولى

---

١) قوله حتى فاظ : أى مات يقال فاظ نفسه وفاظت يتعدى ولا يتعدى .

عليها اليأس فاهلكها . وقد علم الانسان ان سفور الحالة عن ضدها حتم لابد عنه . كما علم ان انجلاء الليل يسفر عن النهار . ولكن خور الطبيعة أشد مايلازم النفس عند نزول الكوارث . فاذالم تعالج بالدواء اشتدت العلة ، وازدادت المحنة . والتفكر فى أخبار هذا الباب مما يشجع النفس ويبعثها على ملازمة الصبر . وحسن الأدب مع الرب عزوجل يحسن الظن فى مواتاة الاحسان عند نهاية الامتحان والله ولى التوفيق .

حسن العقبى

١ — *

ابنا الاخبارى
وغلام يتشطر

الى بالشيء بعد الشيء مما تخلّف عن تلك الوديعة ، وعجوز تخلف بذلك لها ولد يتشطّر ويلعب بالحمام فوردت عليهما بدرة دراهم وقد انتهى بهما السعي فى الايداع . فقالا للعجوز: صيرى بها الى ابنك مع هذا الغلام حتى تودعيها لنا عنده . فمضت بها والغلام معها فحدّثنا الغُلام قال: صرنا اليه وقد فتح باب البُرْج وأخرج فِراخا زُغْبا[1] وهو ينظر اليها ، فادّينا الرسالة اليه . فقال : ليس لى خزانة ولا صندوق ، ولكن اجعلها في هـذه المحضَنة الخالية من البُرْج . قال فعلت وانصرفت . جمعنا على أنه يعزقها مع الغلمان وسبّاق الحمام . ثم صلح ما كان التاث[2] من أمرنا ، واطمأنت نفوسنا مما كان أخافنا ، فبعثنا فيما كنا أودعناه الشيخ . فقال للغلام : غلطت بي وليست الرسالة اليّ . فلما رجع بالجواب الينا تحيّرنا وركبنا اليه فاستمر فى الجحود وتضاحك مما لقيناه به ، ورجعنا وقد لحقنا من فقد الوديعة أكثر مما كنا نخافه من النّكبَة .

---

* سقط من الاصل . والحكاية مسوقة عن ابنى عمر الاخبارى فى نكبتهما بعد موت أبيهما وكان ابوهما من رجال دولة المتوكل فما قبله وقد أودعاها شيخا كانا يعلمان من حاله الصلاح الخ .

١) الزغب الريش أول ما يبدو . ٢) اللوث : اختلاط الامر وتلبّسه .

ومثلنا بين مُطالبته بما نُنبّه به على مقدار ما أودعناه، و نُطيع مَنْ خفناه وبين الامساك عنه ، وتربص الايام به ، فمالت نفوسنا الى الامساك لما اجتمعت لنا الصغائر المُغادِرة للعدل[1] ، واجتازت بنا العجوز فقالت : قد رددنا ما أوْدعْنَاهُ وبقي ابني . واقتضتنا الغلام يحمل البدرة فبعثنا به معها .

فحدثنا الغلام قال : وافيناه بين يدى البَرْج فأدت العجوز اليه الرسالة . فقال للغلام : ادخل فخذها من المحضنة التي خلّفتهافيها . فصار بها الينا الغلام وعليهاذَرْق الحَمام ، فوزناها فوجدناها على ما كانت عليه . فكثر تعجبنا من أمانته وأخرجنا من البدرة ألف درهم وتقدمنا الى الغلام بالمصير بها اليه ، فرجع الغلام الينا فقال : رمى بها اليّ وشتمني . فآثرنا ارتباطه وقلنا للعجوز : صيرى به الينا الساعة . فوافانا فقلنا انبسطنا اليك فانقبضت عنا . فقال : الخيانة أعزّكم الله ، أسهل من أخذ أجرةٍ على الامانة . فقلنا : جزاك الله خيراً فقد وجدنافيك مالم نجده فى غيرك . فقال : وتخلّف عنكم شيء ممّا أودعتموه . فقلنا : نعم . فقال : عرّفونى فانى أرجو أن آخذه لكم بألطف حيلة . فرأينا لما فيه من فضل النفس، وكرم السجية ، أهلا لأن نبثّه وجدنا فأخبرناه . فقال : ينبغي أن تتقدّما الى بعض من تثقان به من غلمانكما أن يتيقّظ فلعلى أن أناديه الليلة . فقلنا : وماتريدبذلك . فقال : مالا يجوزأن أبديه ؛ وأرجو

---

١) كذا فى الاصل .

عون الله عليه ، والتفريج عنكما به ، ففعلنا ذلك . ومايتطاول سؤلنا الى ما أتاه .

فجمع اخوانا له فى عدّة كثيرة من الشُطّار واقتحم على المستودَع وقال له : ماجئنا لنهبك ، ولا نتعرّض لشيء من مالك ، وما جئنا إلاّ لوديعة ابنى عُمر الاخبارى . فان أديتها خرجنا وكأنّا مادخلنا . وان جحدت واعتمدت بصياح قتلناك الساعة وسهل علينا عقوبتنا فيك ، وقُتلنا بك ، لأنّا نرزق الشهادة في القتل والمثوبة ، إذ كنا نجاهد عمّا اختزلته . وضرب الى لحيته وأعجله . فقال : هى فى هذه الخزانة . ودعا بغلام فقال : اخرج جميع ما [أودعناه ابنا] عمر . فأخرج سفَطا كان فيه جواهر ، وسفطا فيه أثواب وشى مذهبةٍ صحاحا ، وبدوراً [1] فيها مال . فقال : والله لئن خلفت شيئاً لنطلنّ دمك ، ولئن كنت أديت الامانة لنكوننّ أولياءك ، والمقيمين بأمرك . فوافى باب منازلنا فصاحوا بالغلام وهم يحملون الوديعة ، فوضعوها بين أيدينا وحدّثونا بحديثهم . وقالوا : استعرضوا وديعتكم فنحن فى الدهليز حتى تفرُغا وتُخبرانا هل بقى منها شىء أم لا ! فلما عرضناها على ثبتها عندنا فما غادرت شيئا منه ، وعادت بما رد الينا نعمتُنا ، وانحسمت فاقتنا ، ولم نجد فى الجماعة من قبل شيئا مما بذلناه وانصرفوا .

١) البدور : جمع بدرة عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

***

رجل مختل الحال وعباس البرمكي

٢ — وحدثني احمد بن أيمن . قال : كنت اكتب في حداثتي للعباس * بن خالد البرمكي . وكان طويل اللسان ، مخشيّ الغضب . فاني لجالس بين يديه في داره بمدينة السلام حتى دخل علينا شاب حسن الصورة ، رثّ الهيئة ، فاكبّ عليه . فقال : ألست ابن فلان صديقنا . فقال : نعم ياسيدي . فقال : قد كان حسن الظاهر ، جميل الهيئة ، فما بلغ بك الى ما أرى . قال : كان تجمّله أوفى من عائدته . وتُوفي فكنت أتبلّغ بما يستعمله الموفى على جاهه ، الى أن خان طبعي البارحة ولم أُطق ستر ما بي فقصدتك ، فدعا بمائة درهم . وقال : تمسّك بهذه الي أن أنظر لك في عائد عليك من الشغل . فلمّا قام من عنده . قال لغلام يثق به : قصّ أثر هذا الفتى ، فانظر مايبتاعه بهذه الدراهم واحصه عليه حتى يدخل منزله ، واعرف المنزل وصِرْ اليّ . فرجَعَ اليه وقال : ياسيدي هذا غلام عيَّار ابتاع بنيف وثلاثين درهما سميذا [1] وسكّرًا وعسلا ولحما كثيرا وحوائج الاعراس ، وأخذ طبّاخا من طباخي الاعراس ، وأحسب انّ عنده دعوة وقد عرفت منزله . فقال : دَعهُ .

فلم تمض الاّ أيام يسيرة حتى وافى الفتى فأعرض عنه واستثقل جلوسه بين يديه . فقال : ياعمي وسيدي ليس يشبه هذا اللقاء ما لقيتني به في الاولى . قال : كنت في الاولى راجيا لصلاحك ، وأنا اليوم

---

١) السميذ : نوع من الدقيق خاص لعمل الحلوى . وهو معرب لأن السين والذال لايجتمعان في كلمة عربية .

آيس منه . فقال : وكيف ظننت ذلك . قال : أخبرني غلامي انك أنفقت الى أن بلغت منزلك نيف وثلاثين درهما . وكان حقك أن لا تزيد على ثلاثة دراهم . فقال : لو عرفت خبري لقدمت عُذري . قال : ماخبرك . قال : كنت مع تضايق حالي أمسك نفسي عن المسألة ، واقتصروا أهلي على البُلغة ، وأنا ساكن وأهلي في ظهر دار فلان (ووصف رجلا ظاهر اليسار من التجار) وقال له : طاقات في مطبخه تُفضي الى منزلي . فأولم وليمة لا أشك في حضورك اياها . فشرق منزلي بروائح الاطعمة ، وكانت الصبية من صبياني تخرج فتقول : « رائحة جَدى يُشوَى » . وأخرى تقول : « رائحة نقانق تُقلى » وهذه تقول : « ياأبة اشتهي من هذا الفالوذج الذى قد شاعت رائحته لقمةً » . وقولهم يقرّح قلبي ، وأملت أن يدعوني فأتحمّل التزليل [1] لهم . فوالله ماراآني أهلا لذلك . فقلت : ولعله إذ نقصتُ عنده من منزلةِ من يدعوني أن يبعث اليّ ؛ فوالله مافعل . فبت بليلة لا يبيت بها الملدوغ ، فأصبحتُ في الغداة فكنتَ أوثق في نفسي من سائر مَنْ بمدينة السلام . فلما أعطيتني تلك الدراهم اشتريتُ بها حوائج أصلحُ منها مااشتهوه فأكلوا أياما منه وهم يدعون الله في الاحسان اليك ، والخلف عليك .

فقال له العباس : أحسنت بارك الله عليك . ثم صاح ياغلمان :

---

١) التزليل : بالزاى من الزلة بالفتح ماتتحمله من مائدة صديقك أو قريبك ، عراقية أو عامية .

اسرجوالي . ولبس ثيابه وركب وركبت معه ودخل الى صاحب الصنيع فقال : دعوتني وجماعة وجوه بغداذ الى طعام مقتنا الله عليه ، وعرّضت نعمتنا للزوال ، وأنفسنا الى اخترام الأعمار ، وقصّ قصة الفتى .
وقال : عزمت على أن أصدّق عن كل من حضر وليمتك ، وتكون سبباً لتخلّف الناس عنك ، والامساك عن أجابتك أخرى الليالي .
فقال : أنا أفتدي اذاًعنك بما غفلتُ عنه بخمس مائة دينار . قال: احضرها فأحضرها . فقال : اقبضها فقبضتُها . ثم ركب الي جماعة فقال : اعطوني في معونة رجل من أبناء النعم اختلت حاله، فأخذ منهم خمس مائة دينار أخرى ورجع الى منزله . وقد كان أمر الفتى الاّ يبرح منه . فأدخله اليه . وقال : فيما تهشّ اليه من التجارة . فقال في صناعة الانماط[1] فانها صناعة أسلافنا ، ومن بها يَعرف حقوقنا . فدعا برجل منهم حسن اليسار فأخرج اليه الالف الدينار التي أخذها . فقال : هذا المال لهذا الفتى فليكن في دكانك . واشتر له بها مايُصلحه من المتاع وبصّره به .
ثم قال للفتى : احذر أن تنفق الاّ من ربح . فانصرف الفتي وقد ردّ عليه ستره .

فحلف لي أحمد بن أيمن : ان بضاعته تثمّرت ، وأرباحه اتصلت وعامل السلطان ، ودخل في جملة التجار وجلّتهم .

١) الانماط : واحده نمط وتقدم انه ظهارة فراش ما، وضرب من البسط وثوب صوف يطرح على الهودج كل هذه تسمى انماط وهي من صنعة واحدة كما ترى .

***

أبو يوسف القاضي والغنوي

٣ — وحدثني احمد بن أبي عمران * عن مسلم بن أبي عُقبة * عن أبيه عقبة . (وكان عقبة هذا مصادقاً لابي يوسف القاضي و تِرباً[1] له). قال : كان أبو يوسف قد انقطع الى انحاء الفقه فأحسن القول عن أبي حنيفة * وكانت زيادته في العلم ، بمقدار نقصانه في الرزق . وكان كل من يستعرض حاله بالكوفة ، يشير عليه [بالنزوع] الى بغداد . ويرى أبو يوسف صواب ما يُشار به عليه فيقعدُه نقصان حاله عن المركب الفاره ، واللبسة التي تُشبه من حلّ محلّه من العلم ، ونزع اليه من أقصى النواحي .

وكان له غلام كان لأبيه ، حاذق بعمل الجواشن[2] والدُّروع وكثير مما يحتاج اليه من آلة الحرب . وكان يأتيه في كل شهر بما يقوته في حاضرة الكوفة ولا يُعينه على حضرة السلطان . فرغب الغلام في عاملٍ للمهدى على الكوفة (قد ذهب عليّ اسمه) . فطلبه من أبي يوسف (وهو يومئذ من أصاغر رعاياه) فباعه منه بتسعين ديناراً وخرج عند ذلك الى بغداذ . فارتاد دابة وثيابا .

وكان لعبد الله * بن القاسم الغنوي أحد أصحاب الأعمش * محل من المهدى * ولم يكن في المجالس التي تنعقد ببغداذ في الفقه أجل من

١) الترب : بالكسر من ولد معك . ٢) الجواشن : نوع جمع جوشن الصدر من الدرع أو صدره .

مجلسه . فدخل أبو يوسف مع كافة من دخل من غير تسليم على عبدالله ولا مقدمة لحضور مجلسه . وكان أبو يوسف حسن الصورة ، جميل الاشارة ، لطيف التخلّص والاحتجاج ، فقبله قلبُ عبدالله ولم يعرفه .

وجرت مسائل وأجوبة ، كان حظ القياس فيها مقصّرًا وكان الاحتجاج على ظاهر القول . فتكلم أبو يوسف فيها فأحسن الاحتجاج وجوّد . وأعانه على هذا طَوْلُ لسانه ، وحسنُ بيانه ، ثم سألهم فقصّروا عن الجواب فأبان عُدولهم برفق . فلما تقضّى المجلس عاتبه عبدالله على تخلّفه عنه ، أو تعريفه مكانه ، وسأله أين نزل ، فأخبره . فرغب له عن الموضع الذى سكنه . ودعاه الى منزلٍ بالقرب منه . وقرّر خبره عند أبى عبيد الله * كاتب المهدى . فوصله بالمهدى وأسنى رزقه . ثم قرنه بالهادى * فأقام معه مدة أيامه ، وبلغ مع الرشيد مالم يبلغهُ عالم بعلمه ، ولا محبوب بمرتبته .

***

على بن سند وأبى الجيش ثابت

٤ — وحدثنى (على * بن سند وكان انقطاعه فى أيام الموفّق والمعتضد * الى احمد بن محمد بن بسطام) وكان آل عُبَيد الله بن * وهب يحقدون [عليه] سوالفا منكرةً . ولم يكن مع عُبَيْد الله من سوء المباداة ما مع القاسم ابنه . فلما حُبس احمد بن محمد بن بسطام قُبض علينا معاشر خلفائه فى الأعمال ، وأثبتنا فى جريدة وتُقُدّم باحضارنا الى داره . فيئسنا من الحياة . وقال لى على بن سندٍ : فلم يكن فى جماعتنا أضعف

حالا مني ، ولا أقلّ ناصرا . فرأيت الموتَ وحُملنااليه . وقدأُحضر الجلاّدين والسياط والموكلين بالمعابر[1] . قال : فقدّم منا رجل من جلّة أصحاب احمد بن بسطام فضُرب وأخـذ خطه بما أُعلم انه لا تصل اليه يده . وبين يديه رجل ظهره الينالانعرفه . فلما فرغ [من] أمره ، سمعت الذي بين يديه وهو يقول : هنّيني عارفتك . فقال : ذره حتى يرى عظم ماسلم منه بك . فقال : هو يراه غدا . فقال القاسم : سلّموا علي بن سند لارعاه الله ! الى صاحبه أبي الجيش ثابت . فرأيتـه وقد قبّـل يده وردّت عليّ الحياة بشفاعته وأطلقت من غير مصادرة ولا عقوبة .

فلما رجع ثابت الى مكانه وصار بي رسول القـاسم اليه . قال لي : مر بي اسمك في الجريدة فاستوهبتك لأنّ أباك كان من اخواني فجزيته الخير على رعايته والدي فيّ .

***

محمد النوري ولص

٥ — وحدثني محمـد بن صالح النوري * قال : كانت لي بضاعة أعود بفضلها على شملي . فافترقتُ في معاملاتٍ في الصعيد وخرجتُ الى من عاملته فجمعتها، وكان مقدارها خمس مائة دينار . وخرجت أريد الفسطاط في رفقـة كثيرة الجمع . فلما كان منتصف طريقنا وافى جمع من الصـعاليك فسلبَ الناسَ جميعا ودهشتُ . فرأيت منهم شـابا حسن الصورة . فقلت له : والله ما أملك غـيرهذا الـكيس فارفعه لي

---

١) المعابر : كذافي الاصل وأقرب ماوجدته ان المعبر : بالفتح الشط المهيأ للعبور

عنـدك . فقـال : وأين بيتك بالفسطاط . فقلت : فى دور عبـاس بن وليد . فقال : ما اسمك . قلت : محمد الغوري . قال : امض لشأنك . وجاء منهم من قلّع ثيابي وسراويلي وانصرفوا عنا . ولم أزد أن سوّغتُ واحدامنهم جميع ما كان معي ودخلنا الى الفسطاط ونحن فقراء[1] . فرجع كل واحـد منهم الى ما تخلف له وبقيت ليس معى درهم أنفقه .

واني لجالس على درجة المسجد بين المغرب وعشاء الآخرة حتى رأيت رجلا قد وقف بي . فقال لي : هاهنا منزل محمد الغورى . قلتُ انا هو ولا والله ! ما اهتديتُ الي الرجل الذى اعطيته المال لأنه كان عندى أول مال ذاهب . فقال لي : عنيتني . وأخرج الـكيس فدفعه اليّ فرُدّت على جِـدّتى[2] وتطعّمتُ الحياة . وكان بالقرب منّا قائد يُعرَف بابن قرا كنتُ معاملا له وكان له محـلّ[3] . فسألت اللصّ المبيتَ عندى ففعل . فأصبحت وصرت الى ابن قرا وقصصت عليـه قصة الرجل . فقال لى : الطف لي فيه ، فوالله لانوّهنّ بأسمه ، ولا كافئنّه عنك . فرجت اليـه فأخبرته فوالله ما آرتاع ، ولا اضطرب ومضي معى . فأحسن تلقّيه ، وخلع عليـه ، وصيّره سيارة لعمله وضمّ اليه عِدّة وافرة . ولم يزل فى حيّزه الى ان توفى .

***

مصقلةومعن بن زائدة

٦ — حدثنى احمد بن أبي طولون يعقوب عن أبيه عن جـدّه

---

١) فى الاصل ونحن فقرى . ٢) الجدة : الحظ والنعمة . ٣) محل : أى مكانة عظمية .

واضح . قال : كانت بين المهدي وأخيه جعفر بن أبي جعفر عداوة فى أيام المنصور . وكان مصقلة * بن حبيب ينقل عنه الى جعفر ما يكره ولا يمكّنُ المهدى أن يسطو على مصقلة ولا يمسّهُ بسوء . فلمّا تولى الخلافة نَذَر دمه فاختفى . فحدثنى مصقلة انه نبابه موضعه الذى كان به فخرج مستترا يريد غيره فلحقه رجل من أعدائه وصاح فى اصحاب الارباع : هذابغيةأمير المؤمنين . فتسرّعَ اليّ الشُرَط ورأيتُ الموتِ عيانا فبينا أنا فى أيديهم اجتازبى معن بن*زائدة . فصحت به : ياسيدي ياأبا المنذر أجرني أجارك الله . فقال للشرط والرجل المتشبّث بى : خلوا عنه . فقال الرجل : ماذا أقول لأمير المؤمنين . قال : تقول له انه عندى ثم أمر بحملى على جنيبة [1] من جنائبه وسار بى الى منزله ، وقدّم طعامه فأكلت معه ومع ولده . فلمّا فرغنا من الطعام . قيل له : وافى رسول أمير المؤمنين . فقال لولده : اقضوا حقى عليكم بألاّ تسلموا مصقلة فقد استجار بى . فحلفوا له على ذلك وركب . فلمّا رآه المهدي . قال : تُجير عليّ يامعن . قال : نعم ياأمير المؤمنين . قال : ونعم أيضاً . قال : ياأمير المؤمنين قتلت في دولتك زُهاء ثلاثين ألف عدوّ ، ولا أُستحق أن أجير فيها عدوًّا واحدا . قال : نعم تستحق ذلك ، قد وهبناك دمه . فقال : ياأمير المؤمنين ليس هكذا ينعمُ مثلك بالحياة ، اذا تصدّقت على أحد بحياته فاجعلها فى خفض عيشٍ من نعمتك . قال : يُعطى ألف دينار

---

١) الجنيبة : الفرس المقادة الى جنب الامير زيادة عن مركوبه لوقت الحاجة اليها .

قال : ياأمير المؤمنين لا تستوى جائزتك وجائزة عبدك معن ، هذا ماسمحت له به . فقال : ادفعوا الى جار معنٍ ألفىْ دينار . فحملت معى الى منزلى ثلاثة ألف دينار وأمنت على نفسى .

*
* *

أولاد ابن طولون وابن اخيهم

٧ — وحدثني ربيعة *بن أحمد بن طولون . قال : لمّا توفى خمّارويه قَبَضَ علىّ وعلى مضر وشيبان ابنى أحمد بن طولون ، جيش بن خمّارويه وحبسنا بدمشق . فلمّا قفل الى مصر حبسنا فى حُجرة من الميدان معه وكانت لنا في كل يوم مائدة نجتمع عليها . وكان فى الحجرة رِواق وبيتان وجلُوسنا فى الرواق . فوافى خدَم له فأدخلوا أخانا مُضر فى البيت وأغلقوا عليه الباب . فانفصل عنّا وكانت المائدة تقدّم الينا ونُمنَع أن نلقى اليه منها شيئاً . فأقام خمسة أيام لا يُطعَم ولا يَستغيث . ثمّ وافانا ثلاثة من أصحاب جيش . فقالوا : مامات أخوكم بعدُ . فقلنا : مانسمع له حِساً . ففتحوا الباب فوجدوه حياً ورام القيام فلم يصل اليه . ورماه الثلاثة بثلاثة أسهم فى مقاتله فطُفِى . وكانت الليلة التى دخلوا فيها ليلة جمعةٍ وأخرجوه وأغلقوا الباب علينا . وأقمنا يوم الجمعة والسبت لم يقدّم الينا طعام . فظننا انهم يسلكوا بنا طريقه . فلمّا كان يوم الأحد سمعنا رجّة في الدار وفتح باب الحجرة وأدخل الينا جيش بن خمّارويه فقلنا : ماخبرك . فقال : غلب أخى على أمرى ، وتولّى أمارة البلد

هارون بن خمّارويه . فقلنا : الحمدُ لله الذى قبض يدك ، وأضرع[1] خدّك . فقال : ما كان عزمى إلاّ ان ألحقكما بأخيكما . وأنفذ الى جماعتنا مائدة فلمّا طعمنا ، بعث الينا خادما : انّ جيشاً كان قد عزم على قتلكما كما قتَل أخاكما فاقتلاه وخُذا بثأركما منه وانصرفا على أمان . وبعث الينا خدَماً فتسرّعوا اليه فقُتل . وانصرفنا الى منازلنا وقد كفينا عدوّنا .

***

احد ملوك الهند وتاجر

٨ — وحدثني منصور * بن اسماعيل الفقيه . قال : خرج رجل نعرفه بتجارةٍ قصده الى الهند . فرجع الينا بأنواع من الطيب كثيرة لها قيمة خطيرة ، وهو في نهاية السرور . فقلنا له : كم ربحتَ في التجارة التى خرجت بها من عندنا . فقال : غرقتُ وسائر من كان معى فسلمتُ بحُشاشة نفسى فى جزيرة من جزائر الهند . فتلقّانى قوم فيها وجاؤا بى الى ملكهم . فقال لى : قد فقدتَ الموهبةُ الخارجة عنك فما معك من الموهبة الثابتة عليك . قلت : معى الكتاب والحساب . فقال الملك : ما بقى لك ، أفضل من الذى ذهب منك ، والصواب أن تعلّم ابنى الكتاب بالعربية والحساب . فأرجو أن نعوّضك أكثر ممّا [فقدته] . وسلّم اليّ من ابنه أذكى صبي وألطفه . فتعلّم فى مدة يسيرة ما يتعلّمه غيره فى مدة طويلة .

فلمّا رأى انه قد توجّه واستحققتُ منه الاحسان ، صار الىّ صاحب

---

[1]) اضرع خدك : أى أذله وأخضعه .

الملك . فقال : معي هديّة من الملك اليك . وادخل الى بقرة فتيّة . ثم قال : أدفعها لك الى الراعى . فقلت: افعل . وصغُرَ في عيني أمر الملك على عظم شأنه . فما مضى زمن قصير حتى جاء الراعى فقال : « ماتت البقرة » واستقبلنى كلُّ خاصّة الملك بالتعمم . ثم ظهر فى ابنه تزيّد فبعث اليّ ببقرة فتية أخرى فرددتها الى الراعى . فما مضت مدة يسيرة حتى وافى يبشّرنى . فقال : « قد حملت البقرة » . فلما انتهى حملُها وضعت فهنأنى حاشية الملك بأسرهم . ثم جلس الملك مجلسا عاماً وأحضر التجارة التي رأيتموها معى . ثم قال :

« لم يذهب عليّ مايجب لك فى تعليم ابنى ، ولم أبعث بالبقرة الاولى لفضل البقرة عندي . ولكن نزلت بك محنة فى البحر أتت على مالك فامتحنت بالبقرة ما أنت عليه منها . وعلمت أنى لو أعطيتك جميع ما ملكت يدي وقد بقى منها شيء لضاع منك ، وهلك لديك . فلما أخبرت انها ماتت علمت انك فيها . ثم امتحنت أمرك بالبقرة الثانية فلما أخبرت انها قد حملت علمت انها قد انحسرت عنك . فسررت لك بذلك . واستظهرت بانتظار الولادة . فلمّا ولدت شخصا كاملا صحيح الاعضاء علمت أنك قد فارقت محنتك . وهذا ما أعددته لك ثم وصلنى بطيب قوّمته عشرين ألف دينار . وحملنى في البحر فسلمتُ وزاد بأرض العرب ثمنه على ماقومته . قال منصور : فرأيته قد أيسر بعد الخلّة والتلفيق فى المعاش .

***

الفضل بن يحيي وشامى

٩ — وحدثني أبو محمد * يحيي بن الفضل . قال : اختفى عند والدي كاتب للفضل بن يحيي بن برمك عند ايقاع الرشيد بهم . وكان يواصل البكاء عليهم ولا يسمع الوعظ فيهم . فقال له أبي : أنا أرجو أن يُخلِف الله عليك ولا يضيعك . فقال : والله مابُكائي لما فاتني منهم وانما بكائي لجلالة أخطارهم ، ونفاسة أقدارهم ، ولقد كان لصاحبي في الجمعة السالفة ما لم أسمع بمثله لقديم ولا حديث . قال لي : « قد كثر الزوّار علينا فانظر مقدارمن انصرف وارفع الىّ عدةمن بقي من الزوار لأتقدم في برّهم . واحذر أن ترفع الىّ رجلا من أهل الشام لأنه كان يتشيّع » .

فخرجتُ فالفيت من فضل عن المنصرفين أربعة وثلاثين رجلا . وجاءني رجل من أهل الشام كامل الأدب ، ظريف الشاهد ، فأعلمته ماتقدّم به الى . فقال : ياأخي أسألك أن تُغالط بي وتثبتني في وسط الجريدة ففعلتُ ذلك . فنظر الى الاسماء ثم قال : ألم أتقدم اليك أن لايكون في الجريدة شامي . فقلت : وأين الشامى . فوضع شهد الله يدَهُ على اسمه وحلّق . ووقّع بيده لكل واحد غير الشامي فما قصّر بأحد عن مائة دينار وأمرني باطلاقها وانفاقها فيهم . فجلست أفرّقها ووافى الىّ الشامى فأريته اسمه خاليا وحدثته حديثه . فقال : لو قُضي شيء لكان . وأحسن الله جزاءك على ماقدمته من العناية بي وانصرف .

وقد غمنى أمره ولم يبق فى الزوار أحد حتى أخذ .

فأنا فى منزلى قريبا من نصف الليل حتى وافانى رسوله ، فصرت اليه . فقال : أويت الساعة الى فراشي واستعرضتُ بفكرى شغل الزوار وما أمرتُ به لهم فحسن عندى ، ثم قبّحه في عيني حرمان الشامي المسكين ورأيته نقصا فى مُرُوّتى . فتقدم في دفع مقدار ما وصل الى جماعة الزوار اليه . فقلت : ياسيدى وصل الى جماعة الزوار خمسة عشر ألف دينار وهذا يكفيه ألفُ دينار . فقال : والله ماتنى ألفُ دينار بنعمة وقد رأى غيره يأخذ وقيامه عنك محروما . ثم فادفع اليه الخمسة عشر ألف ولا تعذلنى : « فالخطأ في الجميل أحسن من الصواب فى القبيح . وليس يشكرُ الناس من البر الاّ ما أفرط ، فأمّا مابلغ الحاجة فنسيّ عند أكثرهم ، والواجب على من آثر جميل الذكر أن يتغنّم أيامه ، ولا يسوّف بشيء من فعله » .

قال أبو محمد : فبكي والله أبي عند هذا الفصل من حديثه حتى خفتُ عليه . وقال : « ما أجهل الناس بقدر ما فقدوه من هذا الرجل » .

قال الكاتب : فخرجت وبثثتُ الرسل فى طلب الشامي حتى وجدوه فوافانى وقد انحطّ أكثر لحمه فى يوم واحد . فقصصتُ عليه القصة فحمد الله وأثني عليه ، وشكرنا جميعا ، وقبض المال وانصرف على أحسن حال .

*
* *

والد المؤلف وابن مدبر

١٠ — وسمعت يوسف بن ابراهيم والدي . وهو يقول : كانت بيني وبين احمد بن محمد* بن مُدَبّر سوالف تُرعى ويحافظ عليها ، فلمّا تولى مصر رأى حسن ظاهري فظن ذلك عن أموالٍ جمّةٍ لديّ . فجدّ بي في المطالبة وأخرج عليّ بقايا لعقود انكسرت من آفات عَرَضَت لضياعها ، ولم يسمع الاحتجاج فيها واستقصر ما أوردته و[ظن] انّما كان عن حيلةٍ . فاحتبسني مع المتضمّنين . فكان يَغدُو في كلّ يوم غلام له يحجبه يعرف بفضل ، فيكتب على كل رجل مايؤديه في يومه ، فان شكى أنه لايَصل الى شئ أخرجه فحمّلت عليه الحجارة ، وطولب أعنف مُطالبة .

فلم يزل بي الحاجه حتى بُعت حصر داري فضلا عما فيها وعرضت داري فمنعني من بيعها ، ووجّه اليّ : فأين يكون حرمك . فوافاني كاتبي في يوم من الايام فقال لي : يشهد الله انّا ما نَصلُ لك اليوم الى ماتقيمك فضلاً عن شئ تؤديه . وامسك فضل غلامُه عن الدخول في ذلك اليوم علينا ، وتعرّفِ مايؤديه كل واحد منا ، فلما صليت الظهر من ذلك اليوم أنفذ اليّ توقيعا نسخته :

« يا أبا الحسن أعزك الله . قد الويتَ[1] بما بقي عليك وهو سبعة

---

١) الويت : أي مطلت . من لواه بدينه ليّا و لِيّا مطله . وقوله : وسببت الخ : السبب مايتوصل به الى غيره . وأراد حولته عليك يتقاضاك ارزاق أصحابه .

عشر ألف دينار وآثرنا صيانتك عن خُطَّةِ المطالبة هـذه المدة . فان أزحت العلة فيها والاّ سلمناك الى أبي الفوارس مُزَاحم بن خاقان أيّدُه الله وسبّبت به عليك لاصحابه » .

فـكتبت اليه رُقعة أحلف فيها : انى ما أملك عدد هذا المال حَبَّ حنطةٍ ولو كان لى شيء لصنتُ به نفسي . فان رأى السيد رعاية السالف بيني وبينه ، وستر مُخلَفى كان أهلاً لما يأتيه ، وان سلّمنى الى هـذا الرجل رجوت من الله عز وجلّ مالا يخطىء مَن رَجاه .

فرجع الىّ بعض غلمانه ومعه رقعة مختومة فاستركبني وسارىي الى مزاحم . فلما قرئت عليه الرقعة أدخلني اليه وعنده كاتب له يعرف بالمروذى فعرفني مزاحم ولم أعرفه . وكان أبوه فى الحارة التى فيها دار أبى بُسر من رأى وربته أمّ امرأة لى تعرف بميمونة . ولاة أم محمد بنت الرشيد ، ولا علم لى بشيء من هذا . فقال : أنت كاتب ابراهيم بن المهدي . فقلت : نعم أيّد الله الأمير . قال : كنت أراك وأناصي فى حارتنا ، ووالله ماطلب ابن المدبّر ان يروّج علىّ مالا . وانما أراد ان أقتلك بالمطالبة وقدقبات التسبيب ورأيت ان أكتب الى أمير المؤمنين أعرفه رزوحك[1] ، وقصور يدك عن هذا المال . فان سهل والاّ نجمه علىّ وعلى رجالى حتى تقاصّوا به فى كل نجم . ثم قال للمروذى : هذا رجل من مشائخى ، وأم زوجته ببغداذ تولت تربيتي ، وقد استكتبته على أموري وما احتاج الى قبالته من الضياع بمصر . وليس

---

١) الرزوح : السقوط من اعياء أو هزال . والتنجيم : التوقيت .

يُزيلك عن رسمك . وأخذ خاتما قد كان يختم به الكتب بحضرته فأعطانيه وسألني عن العجوز التي ربته . فقلت : هي بعصر معي وانصرفت من عنده الى منزلى . فكان أوّل من هنأني بعملي منه ابن المدبّر . ورجعت الى نعمتي معه في مدة يسيرة .

***

ابن العجمى المهندس وابنى موسى

١١ — وحدثنى ابو كامل شُجاع * بن أسلم الحاسب . قال : كان ابراهيم بن الأعجمى * المهندس قد تقاصرت يدهُ ، واختلّت حاله . فتكلم على شكل من أشكال الهندسة ورفعه الى من أوصله الى المأمون قال أبو كامل فحدثني سند بن علي فقال : سأل المأمون محمد وأحمد ابنى موسى بن شاكر * المنجم عن منزلة ابراهيم بن الأعجمى فى الهندسة فقالا : منزلة ضعيفة وفيه عاميّة . فقال المأمون للسندى * بن شاهك : احضرنى ابراهيم بن الأعجمى . فلما أحضره وقف بين يدى المأمون تهيّبه فلم تبدُ منه كلمة . قال فرأيت انقطاعه قد سر ابنى موسى وقالا للمأمون : قد عرّفنا أمير المؤمنين انه ليس بمحل من يُدخل اليه . فقلت : ياأمير المؤمنين لولا انك تبسطُنا بمناجاتك والمواظبة عليها ، لكنا بمنزلة ابراهيم فى الانقطاع من كلامك . فأما تقصير هذين به فى الهندسة فانى أشهد سيدي أمير المؤمنين انى من بعض تلامذته ، وعليه ابتدأت قراءة الهندسة . فأمر بايصاله اليه مع خاصته وأجرى عليه ما وسعه .

فقلت للسندى : متى قرأت الهندسة . فقال : امتعضت[1] والله فيما لحقه من تعسف هذين الرجلين . فنزلتُ هذا القول لا أُردُّ به الإصغار عنه فصلحت حاله ورجع الى أفضل ما كان عليه .

***

محمد واحمد ابنى موسى وسند بن على

١٢ — وحدثنى [أبو كامل[2]] شجاع بن أسلم الحاسب أيضا . قال : كان محمد واحمد ابنى شاكر فى ايام المتوكل يكيدان كل من ذكر [بالتقدّم] فى معرفة . فأشخصا سند بن على الى مدينة السلام وباعداه عن المتوكل . ودبّرا على الكندى حتى ضربه المتوكل ووجّها الى داره فأخذا كُتُبَه بأسرها فأفرداها فى خزانة سُمّيت الكِندية . ومكن هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة . وتقدّم اليهما فى حفر النهر المعروف بالجعفرى . فأسندا أمره الى أحمد بن كثير الفرغانى الذي عمل القياس[3] الجديد بمصر (وكانت معرفته أوفى من توفيقه لأنه ما تمّ له عمل قط) فغلط فى فوهة النهر وجعلها أخفض من سائره . فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائره فدافع محمد وأحمد ابنا شاكر فى أمره واقتضاهما المتوكل فسُعى بهما اليه فيه . فأنفذ مستحثاً فى احضار سند بن على من مدينة السلام فوافى .

---

١) امتعضت : أى غضبت وشقّ علىّ ذلك .   ٢) ذكر صاحب عيون الانباء فى ترجمة الكندى هذه الحكاية بنصها عن المؤلف من كتابه حسن العقبى فما تجده بين هاتين [ ] الدائرتين فزيد منها . والآلات المتحركة : هى الآلات الميكانيكية .   ٣) قلت هذا المقياس ذكره صاحب الروضة وانه عمل فى زمن المأمون .

فلما تحقق محمد وأحمد ابنا شاكر انّ سنداً قدشخص ايقنا بالهلكة وينسا من روح الحياة.

فدعا المتوكل سنداً. وقال [له]: ماترك هذان الرديآن شيئاً من سوء القول إلا وقد ذكراك عندي به. وقد أتلفا جملة من مالي في هذا النهر فاخرج اليه حتى تتأمله وتخبرني بالغلط فيه. فاني قد آليت على نفسي ان كان الأمر على ماوصف ان أصلبهما على شاطئه. وكل هذا بعين محمد وأحمد وسمعها، فخرج وهما معه.

فقال محمد [بن موسى لسند]: ياأبا أحمد[1] «ان قُدْرَة الحر تذهب حفيظته، وقد فزعنا اليك في أنفسنا التي هي أنفس أعلاقنا، وما ننكر انّا قد أسأنا ـ والاعتراف يهدم الاقتراف ـ فتخلصنا كيف شئت».

قال لهما: أنتما تعلمان مابيني وبين الكندي من المداوة والمباعدة ولكنّ الحق أولى ما اتبع. أكان من الجميل؟ ما أتيتما اليه في أخذ كتبه والله! لاذكرتكما [بصالحة] حتى تردّاها عليه. فتقدّم محمد بن شاكر في حمل الكتب اليه وأخذ خطّه باستيفائها فوردت رقعة الكندي انه تسلمها عن آخرها[2]. فقال لهما: قد وجب لكما عليّ ذمام بردّ كتب هذا الرجل ولكما عليّ ذمام بالمعرفة التي لم ترعياها فيّ. والخطأ في هذا النهر يستتر

---

١) في عيون الانباء: ياأبا الطيب.

٢) قائمة كتب الكندي ذكرها صاحب عيون الانباء من ص ٢٠٩ الى ص ٢١٤ من الجزء الاول. وذكرها القفطي في كتابه اخبار الحكماء من ص ٢٤١ الى ٢٤٦ من النسخة المطبوعة بمصر.

مدة أربعة أشهر ، بزيادة دجلة . وقد أجمع الحسّاب على انّ امير المؤمنين لا يبلغ هـذا المدى . وانا أخبره الساعة انه لم يقع خطأ فى النهر ابقاء على ارواحكما . فان صدق المنجمون أفلتنا الثلاثة وان كذبوا وجازت مدته حتى تنقص دجلة وينضب [1] النهر اوقع بنا ثلاثتنا .

فشكر محمد واحمد هذا القول منه . واستتر الأمر واسترقهما به ودخل الى المتوكل فقال [له] : ماغلطا . وزادت دجلة وأجري الماء فيه واستتر حال النهر وقتل المتوكل بعد شهر[ين] من اجرائه . وسلم محمد وأحمد بعد شدّة الخوف ممّا توقّعا .

***

حصار اقريطش والاخلاص لله

١٣ — وحدثنى الحسن بن مسلم الاقريطشى (ورأيته بعد أن علت سنّه وبلغ المائة سنة . وكان صحيح التميز ، سليم الحواس) . قال : الحّ غزونا على الروم ، ونالهم منا مكروه عظيم . فوجَدَ [2] متملّك الروم من هذا ونذر ان يخرب أقريطش ولو أتى ذخائر مملكته . فنظر الى راهب محبوب تعالم الروم ذهادته . فأنزله من مُتعبّده ، وضم اليه أكثر جيوشه ، فوافى جمع لم يُحط بأقريطش مثله قط . ففزعنا الى غلق الحصن وتسرّع الروم الى بناء مساكن لهم . وخرجوا من المراكب وغلبونا على ميرة البلد وما يكون فى جواره . واشتد الحصار ، ونزع السعر ، وتحلّق المأكول [3] ،

١) نضوب النهر : قلة ماءه وغوره . وعبارة عيون الانباء « حتى تنقص دجلة وتنصب » والظاهر انها تصحيف تنضب . ٢) وَجدَ : من الموجدة غضب منه .
٣) تحلّق المأكول : من تحليق الطائر وذلك ارتفاعه فى طيرانه والمعنى عزّ تناوله .

وشاع الجهد. ثم زادت المكارهُ حتي أكل الناس ما مات من البهائم جوعا. وأجمعوا على ان يفتحوا الباب له. فقال لهم شيخ: انى قد أراكم قد حرمتم التوفيق في قوّتكم وضعفكم. والصواب أن تقبلوا منى ما أُشير به عليكم. قالوا: قل. قال أترككوا لله من قبيح ما يحملكم عليه تظاهر النعمة والسلامة، واخلصوا له اخلاص من لا يجد فرجةً الاّ عنده وأفصلوا اصبيانكم من رجالكم، ورجالكم من نساءكم. فلمّا ميزهم هذا التميز صاح بهم عجُّوا[1] بنا الى الله. فعجوا عجّةً واحدة وبكى الشيخ وبكى أكثر الناس. ثم قال: عجوا أخرى ولا تشتغلوا بغير الله. فعجُّوا عجة أعظم من الأولى وبكى الناس أيضا. ثم عجّ الثالثة وعجّ الناس معه. وقال: تشرّفوا من الحصن فانى أرجو أن يكون الله قد فرّج عنا. خلف لى الحسن: انى تشرفت مع جماعةٍ فرأيت الروم قد قوّضوا [رحالهم] وركبوا مراكبهم. وفتح باب الحصن فوجدوا قوما من بقاياهم فسألوهم عن حالهم. فقالوا: كان عميد الجيش بأفضل سلامة الى اليوم حتى سمع ضجتكم فى المدينة فوضع يده على قلبه. وصاح: «قلبي قلبي». ثم طفى. فانصرف من كان معه الى بلد الروم وخرجنا عن الحصن فوجدنا فى تلك الابنية من القمح والشعير ماوسع المدينة وأعاد اليها خِصبُها [وكفينا] جماعتهم من غير قتال.

***

١٤ — قال أبو جعفر ولما غلب ابن الخليج على مصر ونواحيها لم سهل بن شنيف وابن بسطا

---

١) العجّ: الصياح مع رفع الصوت.

يكن بمصر اسوأ قدرة على أسباب أبي الحسين بن أحمد * المادرانى من أحمد بن سهل * بن شُنيف . فلم يمض شهور حتى انهزم ابن الخليج وظُفِرَ به وحمل الى العراق ، ودخل بعدذلك بشهور أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام الى مصر متوليا بالامانة على الحسين بن أحمد وكاشفا لما جرى عليه أمر الضياع بعد ابن الخليج وأصحابه .

فقرّر أبو علىّ أمر المتضمنين بالحضرة عند أبي العباس ، فعرّض بسهل بن شُنيف ولم يدع سُوءًا الاّ ذكره به . فقال أبو العباس : سيعلم ما يجري عليه مني . واتصل [الخبر] بسهل بن شنيف فاستطير قلبه ، وكسف باله . وأحضر مع جماعةٍ اجلبوا [1] من الكتّاب مع ابن الخليج فلمّا دخلوا عليه كاد يقوم الى سهل بن شنيف ثم رفعه حتى كان أقرب اليه من أخصّ أصحابه . ودعا ابن حمس فسارّه فنظر الى سهل وقال لابي العباس : الأمر على ما وصفت، ثم أطلق سهلا من ساعته الى منزله . فسأله أبو على : هل تعرفه قبل هذا؟ فقال : لا والله ولكنّه وردعلىّ منه أشبه الناس بأبي . وأفرخ [2] روع سهل بتوفيق الله ولطفه . وما زال حفيًا به حتى مات .

***

المؤلف وابن بسطام

١٥ — قال: وكنت قد عملت في أيام ابن الخليج لحماية ضياعًا كانت في يدى . فلمّا تمخّضت دولتُه اختفيت ونهبت وخفت الايقاع

---

١) حسن الاجلال : كناية عن الاجتماع لقتاله . وقوله ابن حس : كذا مهملة في الاصل ولعله ابن خنيس . ٢) افرخ روعه كفرّخ أى ذهب خوفه .

بي ، واعتور ضياعي العُمّال وأضاقت حالي . فاجتمع الخوف والفاقة فرأيت بعد قدوم أبي العباس بن بسطام فيما يرى النائم يوسف بن ابراهيم والدي وأنا أشكو اليه خلتي وخوفي . فكأنه يقول : أنا أتكلم في أمرك حتى تعود الى محبتك . فلما أصبحتُ قصصتُ الرؤيا على من كنت مختفيا عنده وكان حاذقا بالعبارة [1] . فقال : يجري لك فرج بذكر أبيك . وطلب أبو العباس بن بسطام الدُّستورات [2] القديمة ليعتبر منها عِبر الضياع . فأخرج اليه ما كان لسنة خمسين ومائتين وماقبلها . فرأى فيها اسم والدي في ضياع كثيرة . فقال : من هذا يوسف بن ابراهيم ؟ . فقال له أبو علي: هذا صاحب ابراهيم بن المهدى ، ورضيع المعتصم . قال أبو العباس : وصاحب كتاب الطبيخ . قال أبو علي : نعم . قال فله ولد . قال : نعم في ناحيتي . قال : فخذلي منه كتاب الطبيخ وكتاب أخبار ابراهيم بن المهدي وصِر به اليّ حتى يقرأهما عليّ . قال : افعل .

وكان اسحاق * بن نصير يعرف موضعي . فقال له : احتاج الى أحمد بن يوسف . قال : تؤمنه وعليّ احضاره . فكتب له امانا بخطّه وحلف فيه الاّ يسوءني ، ولا يطالبني . فخرجت اليه وأحضرته

---

١) العبارة : أراد بها التعبير : قال الراغب : والتعبير مختص بتعبير الرؤيا وهو العابر من ظاهرها الى باطنها نحو ان كنتم للرؤيا تعبرون وهو أخص من التأويل .

٢) الدُّستورات : جمع الدستور بالضم على غير قياس وجمعه دساتير معربة النسخة المعمولة للجماعات التي منها تحريرها كذا في القاموس .

الكتابين وفرّج الله عنى بأضعف سبب .

***

قابلة أولاد خمارويه وأختها

١٦ — وحدثتني أمّ آسية قابلة أولاد خمارويه بن طولون (وكان لها دين ، ومذهب جميل ، ومحل لطيف من خمّارويه . وقد تذاكرنا لطف الله عز وجل فى أرزاق عباده ، وحسن الدفاع عنهم) : انه تزوجها وأختها اخوان . فأقبلت حال زوج أختها ، وأدبرت حال زوجها . قالت : وتوفى زوجها بأسوإ حالة وخلّف لها بنات . وتعذّر عليها تجهيزه من اختلاله . وتُوفى زوج أختها وقد خلّف من العين والمساكن والأوانى لولد أختها .

قالت : فكنت أجاهد فى مؤونة ولدي ، واذا وقف أمري صرت الى أختى فقلت اقرضيني كذا وكذا استحياءً من أن أقول لها هبي لى . ودخل شهر رمضان فلمّا مضى نصفه اشتهوا علىّ صبيانى حلوى فى العيد . فصرت الى أختى فقلت لها : اقرضيني ديناراً اعمل به للصبيان حلوى فى العيد . فقالت: يا أختى تغيظيني بقولك : «اقرضيني» واذا قرضتك من أين تعطيني . أمن غلّة دورك ! أو بستانك . لو قلت هبي لى كان أحسن . فقلت لها : اقضيك من لطف الله تعالى الذى لا يُحتسبُ ، وجُوده الذى يأتى من حيث لا يرتقب . فتضاحكت وقالت: يا أختى هذا والله من المنى ، والمُنَى بضائع النوكى [1] . فانصرفت عنها

---

١) النوك : بالضم والفتح الحمق والنوكى جمعه .

أجرُّ رجلي الى منزلي .

وكان في جوارنا خادم اسود لبنت اليتيم امرأة خمارويه . فلما بلغتُ حارتنا قال لي : في جوارنا امرأة تطلق قد أوجعت قلبي . ادخلي اليها فليس لها قابلة . قالت أمّ آسية : ووالله ما عاينت ممخوضة[١] قط . فدخلت اليها فمسحتُ جوفَها وأجلستُها كما كان القوابلُ يجلسنني في طلقي فولدت من ساعتها . فلما أمسك صياحُها جاء الخادم يسأل عنها . فقلت : قد ولدت . فعجب من سرعة أمرها ، وظنّ ان هذا شيئاً قد اعتمدته بحذق صناعةٍ ، ولطف في مهنةٍ . فمضى الى ستّه بنت اليتيم (وكانت مُقرِباً بأول ولد حمل لأبي الجيش وقد عُرض عليها قوابل استثقلتهنّ) . فقال : في جوارنا قابلة أحضرناها لمرأةٍ في حارتنا تُطلَق فوضعت يدَها على جَوْفِها فسقط ولدُها . ووصفني بما لا يوجد في قدرة أحدٍ إلا بالله عز وجل . فقالت للخادم : اذا كان غدا فجئني بها . فأتى الغُلام ودعاني الى مولاته فأجبت بانشراح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخفّت رُوحي وقالت الى التمام تقدير الله تبارك وتعالى . ثم شكت مغساً[٢] تجده المُقْرِب فادخلت يدي في ثيابها ومسحت جوفها وعجبت الى الله تعالى في سرّي بتوفيق ، وكنت أدعو ومن حَضَر من أهلها يتوهم اني أرقى[٣]

---

١) الممخوضة : كالماخض وهي من النساء والابل والشاء المقرب أي الذي وضع حملها . ٢) المغْس والمغَس : لغة في المغص وهو الطعن والجسّ استعير الى المرض التي يكون في القلب . ٣) قوله أرقى : من الرقية بالضم العُوذة قال في القاموس رقاه رَقيا و رُقيا فهو رقاء نفث في عوذته .

فسكن ماوجدته وتبركت بى ، ودخل اليها خمارويه وقال : ما وجدتى فقالت مغسا فى جوفى فوضعت قابلة أردتها يدها عليه فزال ما أجده وأخرجتنى اليه (وكان قريباً من حُرَمِهِ[1]) . فقال لي ارجو أن يخلصها الله عز وجل ببركتك .

قالت أم آسية : ودخلنا فى العشر الأواخر من شهر رمضان . وقد تمسكتُ من الاخلاص لله عز وجل بما لا يَصِلُ اليه من ساحَ في الجبال خوفا من شماتة أختى بى . فلم تمض الا ثلاثة أيام حتى مخضت فاجلستُها على كرسى الولادة (وكان مقدار طلقها ساعتين) فولدت ابنا أسهل ولادة . وأبو الجيش يقوم ويقعد ، ويذهب ويجيء . فلمَّا ولدت وكانت تتوقَّع من الولادة أمراً عظيما فلما ألقته : قالت لى هذا الطلق قلت : نعم . فقبلّت يعلم الله عيني من الفرح . وصاح خمارويه : أخبرينى يامباركة بخبرها . فقلت : وحياة الامير انها فى عافية وقد ولدت غلاما سويّ الخلق بحمد الله : فوجّه اليّ بألف دينار والحّ أبو الجيش فى النظر اليها لفرط اشفاقه عليها . فاستوقفته الى أنْ نقلتُ حوائج الولادة وقلت لها ياسيدتى : اضحكى فى وجهه كما تريه . فلما دخل اليها ضحكت فى وجهه فتقدّم بصدقة بمال كثير عنها وعن ولده .

وقالت لى أم آسية : لما كان يوم الاسبوع (ووقع قبل العيد بيوم واحدٍ) أمرت لي بخمس مائة دينار . وحصل من اتباعها الفُ دينار

١) الحرم : ما تحميه وتقاتل عليه من أهلك وهو من ألطف الكنايات .

فحصل لى ألفان وخمس مائة دينار ، وخلعت عليّ وسائر حشمها أكثر من ثلاثين خلعة . وحُمل اليّ مما أعد للعيد ثلاث موائد خاصة . وانصرفت الى منزلى فأرسلتُ الى أختى مائدة ووافتني مهنئة وقد تقاصر طَوْلَها ، فاريتها ماحَصَل لى من المال والخلع والطيب . وقلت لها : يا أختيَ أنكرتي عليّ قولى اقرضيني ومن هذا كنت أقضيك . فلا تستصغرى من كان الله مادته ، وعليه مدار ثقته وتعويضه .

واكتسبت هذه المرأة بمحلّها من أبي الجيش مالا كثيراً ، وقضت لجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة .

***

سندبن على والمجسطى

١٧ — وحدثني شجاع بن أسلم الحاسب . قال قلت لسند بن على : من كان سببك الى المأمون حتى اتصلت به وكنت [من جلسائه] من العلماء . فقال أحدثك به : كان والدى يتكسَّبُ بصناعة احكام النجوم مع قوم من أسباب السلطان يودونه ويحبونه وتعلق قلبي بعد فراغى من قراءة كتاب أُقليدِس [1] بكتاب المجسطى . وكان في أيام

١) اقليدس والمجسطى : كتابان شهيران عظيمان من وضع اليونانيين ، الاول منهما فى أصول الهندسة ، والثانى فى الهيئة وعليهما المعول فى هذين الفنين . اكبر الامم المتدينة من شأنهما كل الاكبار جيلا بعد جيل . ذكرهما الوزير القفطى فى اخبار الحكماء وأفاض فى القول فيمن عنى بشأنهما من علماء يونان والروم والاسلام وسبب تاليفهما وانتشارهما ومن نقلهما الى العربية ومن شرحهما . وقد سبقه الى ذلك ابن النديم فى الفهرست ، وأبى الريحان البيرونى فى الآثار الباقية ، وتلاهما صاعد فى طبقات الامم . وذكرهما الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ، والخزرجى فى عيون الانباء فى اكثر من عشرة

المأمون بسوق الورّاقين رجل يُعرف بمعروف يورّق هـذا الكتاب ويبيعه بعد تكامل خطه واشكاله وتجليده بعشرين دينارا . فسألت والدي ابتياعه لى . فقال: انظرني يابُنى الى أن يتهيأ لي شيء آخذه إمّا من رزق

مواضع من كتابه، والسنجارى فى ارشاد القاصد، وطاش كبرى زاده فى مفتاح السعادة، وكاتب جلبي فى كشف الظنون وأسهب فى الكلام عليهما وتعرّض لهما التهاونى فى كشّاف اصطلاحات الفنون وكثيرون غـيرهم فى كثير من الـكتب المؤلفـة فى موضوعات العلوم (تاريخ آداب العلم) . قالوافى تعريف الاول ونسبته :

أُقليدُس (بضم الهمزة وكثر الدال أو بالعكس) بن نوقطرس بن برنيقس حكيم قديم العهد يونانى الجنس شامى الدار نجار الصنعة وهو المظهر للهندسة «جومطريا» والمبرز فيها باطباق العالم أجمع . وقد غلب اسمه على كتابه فتسمى به و يعرف كتابه باليونانيـة «الاسـطروشيا» ومعناه أصول الهنـدسة أو الاركان وسماه الروم «الاستقصات» والاسلاميون «الاصول» . قال القفطى : ولقد كانت حكماء يونان تـكتب على أبواب مدارسها «لايدخلنّ مدرستنا من لم يكن مرتاضا» يعنون بذلك من لم يقرأ كتاب اقليدس . وذكروا من نقلته الى العربية الحجاج بن مطر الـكوفى نقله نقلا أوليا ونقله هذا يسمى بالهارونى ونقله أخرى ويُسمّى بالمامونى وعلى نقله هذا عوّل الشراح ومن أتى بعده ونقله اسحاق بن حنين ولده تختصره ثم أصلح نقله ثابت بن قرّة الحرانى وله عليـه كتاب فى مقدماته وآخر فى اشكاله وله المدخل اليه قال الخزرجى : وهو فى غاية الجودة . ثم نقل أبوعثمان الدمشقى منه مقالات . قال ابن النديم رأيت منها العاشرة بالموصل فى خزانة العمرانى . ثم تناوله المصريون ثم المغاربة من الاندلسيين فاحسنوا فى تحريره كل الاحسان . قال كاتب جلبي: واعتمد المتاخرون من هذا الـكتاب على تحرير أصول اقليدس للنصير الطوسى المتوفى سنة ٦٧٢ قلت: وقد طبع هذا برومة بالحروف سنة ١٥٩٤م ومن هذا المطبوع نسخة فى دار الـكتب الخديوية بمصر . وثَمّ نسخة خطية كتبت سنة ٦٤٦ فى تحرير حساب وهندسة اقليدس للطوسى المذكور فى دار الـكتب المذكورة . ورأيت نسخة من اقليدس (وأظنها تعريب اسحاق) طبعت بالقسطنطينية فيما بعد الالف بقليل بالحروف كذلك

واماً من فضل واتباعه لك (وكان لى أخ لا يشتهى مما [تقدمت] أنا فيه من العلم شيئاً إلاّ انه كان يخدم أبى فى حوائجه والاشفاق عليه) .

فى مجلد ضخم على ورق ثخين للنهاية جمش يعرف « بالعبادى » أو « الآبادى » وطبع فى الهند منه مقالات متفرقة فى المطابع الحجرية . وذكر الخزرجى فى ترجمة البديع الأسطرلابى قوله فيه :

وذو هيئة يزهو بخال مهندس أموت به فى كل حال وأبعث
محيط باوصاف الملاحة وجهه كأنّ به اقليدس يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله به نقطة والخد شكل مثلث

والمجسطى (بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء) كلمة يونانية معناها الترتيب أو الاعظم وضعه بطلميوس القلوذى أحد علماء يونان كان فى أيام اندرياسيوس وانطيمونيوس من ملوك الروم قاله القفطى تبعاً لابن النديم وفى زمانهما رصد الكواكب ولاحدهما عمل كتاب المجسطى وهذا الكتاب ثلاث عشرة مقالة . وأول من عنى بتفسيره واخراجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ففسره له جماعة فلم يتقنوه ولم يرض ذلك فندب لتفسيره أبا حسان وسلم صاحبا بيت الحكمة فاتقناه واجتهدا فى اتصحيحه بعد ان أحضرا النقلة المجوّدين فاختبرا نقلهم وأخذا بافصحه وأصحه . قال كاتب جلبى : وهو أشرف ماصنف فى الهيئة بل هو الامام ومنه تستخرج سائر الكتب المؤلفة فى هذا الفن . وقال القفطى : وانما غاية العلماء بعد بطلميوس التى يجرون اليها ، وثمرة عنايتهم التى يتنافسون فيها ، فهم كتابه على مرتبته وإحكام جميع اجزائه على تدريجه . ولا يعرف كتاب ألف فى علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط باجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب ، أحدها كتاب المجسطى هذا فى علم الهيئة وحركات النجوم ، والثانى كتاب ارسطوطاليس فى علم صناعة المنطق ، والثالث كتاب سيبويه فى علم النحو العربى . وقالوا : لقد عنى المامون فى المجسطى كل الاعتناء فوق عنايته فى غيره من الرياضيات والحكميات . ولما كانت معرفة كتب هذا الفن تتوقف على معرفة علم الهندسة لان مقدمات براهينه هندسية جمعوا على ان كل من عنى باقليدس من النقلة والمفسرين والشراح والمشككين متقدمهم

فلما سوّفني أبي بالكتاب وطالت المدة فيه . ركبت معه لامسك دابته فى دخوله الى من يدخل اليه ولى اذ ذاك سبع عشرة سنة . فخرج الىّ غلمان من كان عنده فقالوا : انصرف فقد أقام أبوك عند مولانا فمضيت بالدابة فبعتها بسرجها ولجامها بأقل من ثلاثين دينارا . ومضيت الى معروف فاشتريت الكتاب بعشرين ديناراً . (وكان لى بيت أخلو فيه) وجئت الى أمي فقلت لها : قد جنيتُ عليكم جناية واقتصصتُ عليها القصة ، وحلفت لها ان شحذت [1] أبي علىّ حتى يمنعني من النظر فى الكتاب لاخرجنّ عنهم الى أبعد غاية ، ورددت عليها فضل ثمن الدابة . وقلت لها : أنا أغلق باب هذا المنزل الذى لى وأرضى منكم برغيف يُلقى الىّ كما يلقى الى المحبوس الى أن أقرأه جميعه . فتضمّنت لى بتسكين فوْرته ودخلت البيت وأغلقته من عندي . فمضى أخي الى والدى فى الموضع الذى كان فيه فاسرّ اليه الخبر فتغيّر وجهه ، وتلجلج فى حديثه فقال له من كان عنده : قد شغلت قلبي وقلب من حضر بما ظهر منك

ومتاخرهم عني بالمجسطي فلست ترى لمتقدم أو متاخر اصلاح فى ذاك الا وله اصلاح فى هذا . فذكروا من نقلته الحجاج بن مظر واسحاق بن حنين وأصلحه ثابت بن قرة واختصره مع اقيلدس أبو الريحان البيرونى وقيل له عليهما شرحا والفضل بن أبى حاتم النيريزى ومحمد بن جابر البتانى والسمرقندى والنصير الطوسى وغيرهم كثيرون ومن أراد الاستقصاء والوقوف على أهمية هذين الكتابين فعليه بمراجعة ما أشرنا اليه من الكتب فى أول الكلام والله ولىّ التوفيق .

١) الشحذ : السوق الشديد والغضب والالحاح . وهذه المعانى كلها صالحة للتفسير بها هنا .

فبحق عليك الا اخبرتنا بما ذا . قال فحدثه فقال : هذا والله يسرنا في ولدك فانعد فيه بكل جميل . ثم استحضر من اسطبله بغلا أفره من بغل أبي، وسرجا خيرا من سرجه . وقال لابي : اركب هذا البغل ولا تكلم ابنك بحرف .

قال سند : وأقمت ثلاث سنين كيوم واحد لا يرى لي أبي صورة وجه وأنا مجدّ حتى استكملت كتاب المجسطي . ثم خرجت وقد عملت أشكالا مستصعبات ووضعتها في كمي . وسألت هل للمهندسين والحسّاب موضع يجتمعون فيه . فقيل لي : لهم مجلس في دار العباس ابن سعيد الجوهري ترب المأمون يجتمع فيه وجوه العلماء بالهيئة والهندسة . فحضرته . فرأيت جميع من حضر مشائخ ولم يكن فيهم حدث غيري لاني كنت في العشرين سنة .

فقال العباس : من تكون وفيما نظرت . فقلت : غلام يحب صناعة الهندسة والهيئة . قال : ما قرأت . قلت : اقليدس والمجسطي قال : قراءة احاطة . قلت : نعم . فسألني عن شيء مستصعب في كتاب المجسطي كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كمي ، فأجبته . فعجب وقال : من أفادك هذا الجواب . قلت : استخرجته قريحتي وما سمعته من غيري ، وهو وغيره فيما مرّ بي في ورق معي . قال : هاته فلما رآه اغتاظ واضطرب ، ثم قال لبعض من بين يديه من غلمانه : «السفط» فجيء به فنظر الى خاتمه فوجده بحاله ، ثم فضّه وأخرج منه كرّاسة

فجعل يقابل بها الورق الذى كان معي . فكان الكلام فيما معه أحسن وصفاً من الكلام الذى معي والمعنى واحد .

فقال : هذا شيء توليت تبيينه من كتاب المجسطى فلمّا أحضرتنيه توهّمتُ انه سرق منى . حتى تبيّنت اختلاف اللفظين مع اتفاق المعنى . ثم أمر ان يُقطع لى أقبية ، ويُرتاد لى منطقة مذهبة ، ففرغ من جميع ذلك في تلك الليلة وأدخل بى الى المأمون . وأمرنى بملازمته وأجرى لى انزالا ورزقا .

***

الرشيد وطبيبه

١٨ — وحدثنى أحمد بن أبى يعقوب قال حدثنى أبى ان جبريل ابن بختيشوع : كان يخلف الاطباء فى دار الرشيد وكانت به نزاهة وبه فاقة شديدة ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم فى كل شهر . فوقع الرشيد فى غشية لم يتقدّمها علّة . فاجمع الاطباء على انه تالف ، وأخبر ابن بختيشوع . فقال : ماله إلاّ علاج واحد وهو أن يحجموه . فقال محمد الأمين : أخاف ان أخاطر به . ثم قال : قد ايسنا منه والصواب ان نمتحن هذا فيه . فاحضروا الحجّام فجمع الدم فى أخدعيه [3] وهو مستلق . ثم أخرج من دمه محجمتين . ففتح الرشيد عينيه واستدعى طعامه وأكل ونام . فلمّا انتبه اقتصّ عليه المأمون ماجرى عليه [أمره . واذن] للداخلين فى تهنئته بالسلامة . فلما اكتملوا قال لهم : يامعاشر الأمراء والاطباء انما ارتبطتكم لحراسة نفسى وقد حدث علىّ

حادث لم يغن عنى فيه بعد الله عزّ وجل إلا هذا الغلام ؟ ونصيبهُ منى نزر ونصيبكم وافر فاعدلوا ميل المملكة بأن يجعل له كل رجل منكم نصيبا من انعامى عليه ، واحسانى اليه ، حتى يكون له من جماعتكم مايُوازى ماتقدّم عليه به فى حُسن الدفاع عنى .

فتسرّعَ الناس الى جبريل ، فأعطوه الضِّياع والدور والاموال وما برح حتى كان أيسر من فى المملكة ، وتربّت النعمة لديه وولده حتى وازت نعم الخلفاء .

***

عمرو بن عثمان والرشيد

١٩ — وحدثنى عمرو بن محمد * بن عمرو بن عثمان عن أبيه عن جدّه . قال : كان لى مجلس فى ديوان الانشاء قليل الجدوى علىّ ، وحالى حالٌ لا تنهض بما يحتاج اليه المقتصد ، وقد لزمتنى يمين لا كفّارة لها فى ترك النبيذ .

فكان جماعة الكتّاب يجلسون ماجلس الوزير ، وهو يومئذ الفضل * بن الربيع . فاذا انصرف الى منزله انصرفوا الى ماعقدوا عليه أمرهم من الاجتماع ، وأقيم وحدى فى الديوان الى ان يغلق . فبكّرت اليه فى يوم من الأيام ، وجاءت مطرة تطرّبَ الوزير فيها الى الشرب لتشاغل الرشيد فى دعوة لزبيدة * فلم يبق فى ديوان الانشاء غيرى .

فانى لجالس حتى دخل الىّ خادم من خاصّة الرشيد فأخذ بيدى وأدخلنى الى الرشيد . فلما مثلت بين يديه قال : اقرأ هذا الكتاب

فقرأته فبيّنتُه وأعربتُه . فقال : أجب عنه بين يديّ . فأجبت عنه بأحسن معانٍ ، وأجود لفظٍ . فقال : اقرأه عليّ فقرأته . فقال لمسرور الكبير : « الف دينار » فجاء بهافقال ادفعها اليه وقل للفضل : « يصرف اليه ديوان الانشاء ، فهو أحق به ممّن غادره » . ثم قال لى : « خذ هذا المال وسأنظر لك فى الوقت بعد الوقت ما يزيد فى اصطناعى لك . فلا تفسد الغنى ما أصلحته الفاقةُ من حسن ملازمتك ، واستزدنى أزدك » .

قال عمرو فاجتهد الفضل بن الربيع ان يشرك بينى وبين من كان يتولى الانشاء فلم يطلق له الرشيد ذلك . وأفردنى به حتى فرّقت الأيام بيننا .

خاتمة

قال أبو جعفر . قال بزرجُمهر * : « الشدائد قبل المواهب ، تشبه الجوع قبل الطعام . يحسن به موقعه ، ويلذّ معه تناوله » .

وقال أفلاطون : « الشدائد تُصلح من النفس بمقدار ما تفسد من العيش ، والترف[1] يفسد من النفس بمقدار مايصلح من العيش » وقال : « حافظ على كل صديق أهدته اليك الشدائد ، واله عن كلّ

---

١) الترف : من التّنعم من التُّرفة بالضم .

صديق أهدته اليك النعمة » . وقال أيضاً : « الترفه كالليل لا تتأمل فيه ماتصدره وتتناوله ، والشدة كالنهار ترى فيها سعيك وسعي غيرك »

وقال ازدشير : « الشدة كحل ترى به ما لا تراه بالنعمة » .

وملاك مصلحة الأمر فى الشدة شيآن ، أصغرهما قوة قلب صاحبها على ماينوبه ، وأعظمها حسن تفويضه الى مالكه ورازقه . واذا صمد الرجل بفكره نحو خالقه علم انه لم يمتحنه الا بما يوجب له مثوبة ، أو يمحص[١] عنه كبيرة ، وهو مع هذا من الله فى ارباح متصلة ، وفوائد متتابعة .

فأما اذا اشتد فكره تلقاء الخليقة كثرت رذائله ، وزاد تصنعه وبرم بعقامه فيما قصر عن تأميله ، واستطال من المحن ماعسى أن ينقضي فى يومه ، وخاف من المكروه مالعله ان يخطئه .

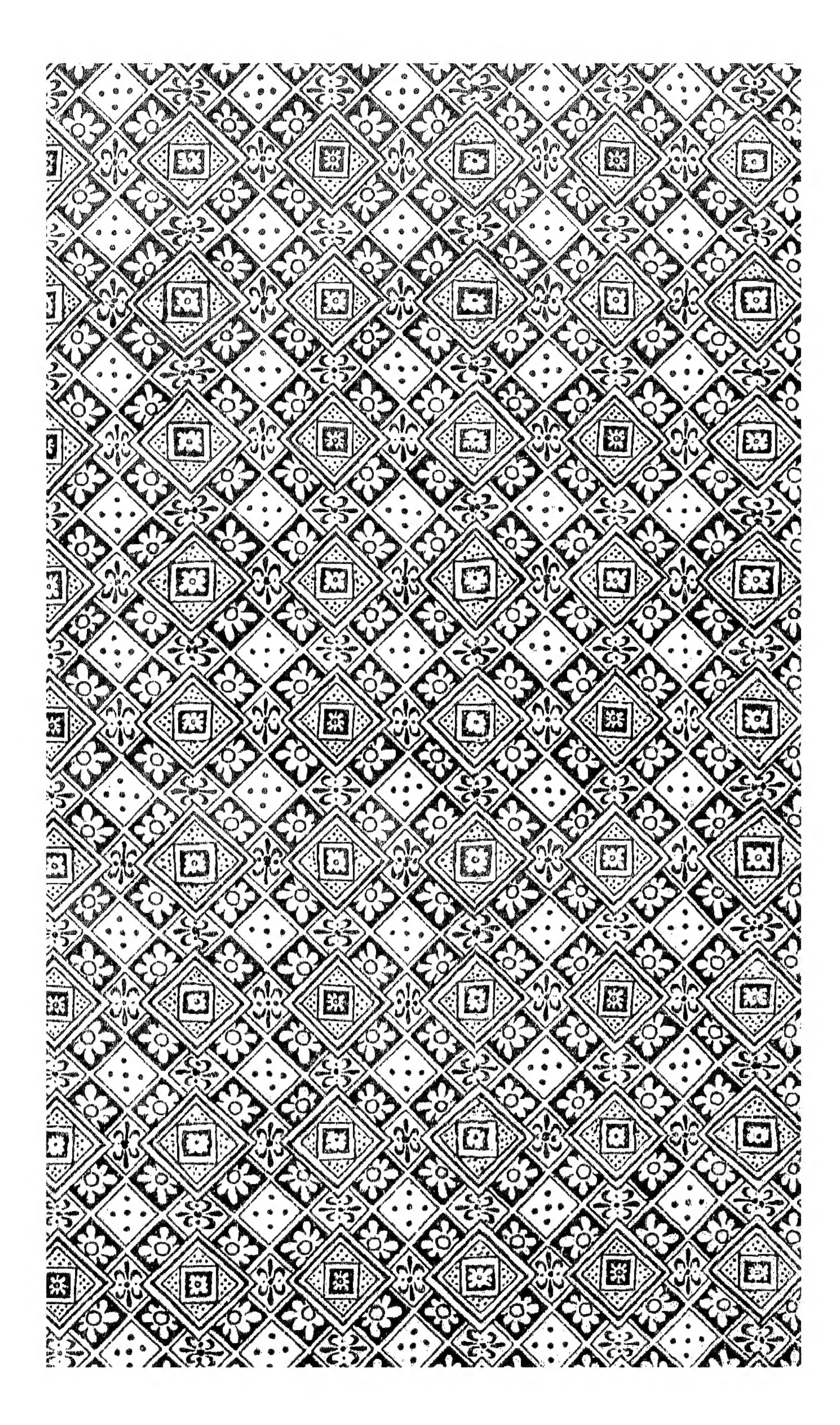
وانما تصدق المناجاة بين الرجل وبين ربه لعلمه بما فى السرائر ، وتأييده البصائر ، وهى بين الرجل وبين أشباهه كثيرة الأذية ، خارجة عن المصلحة .

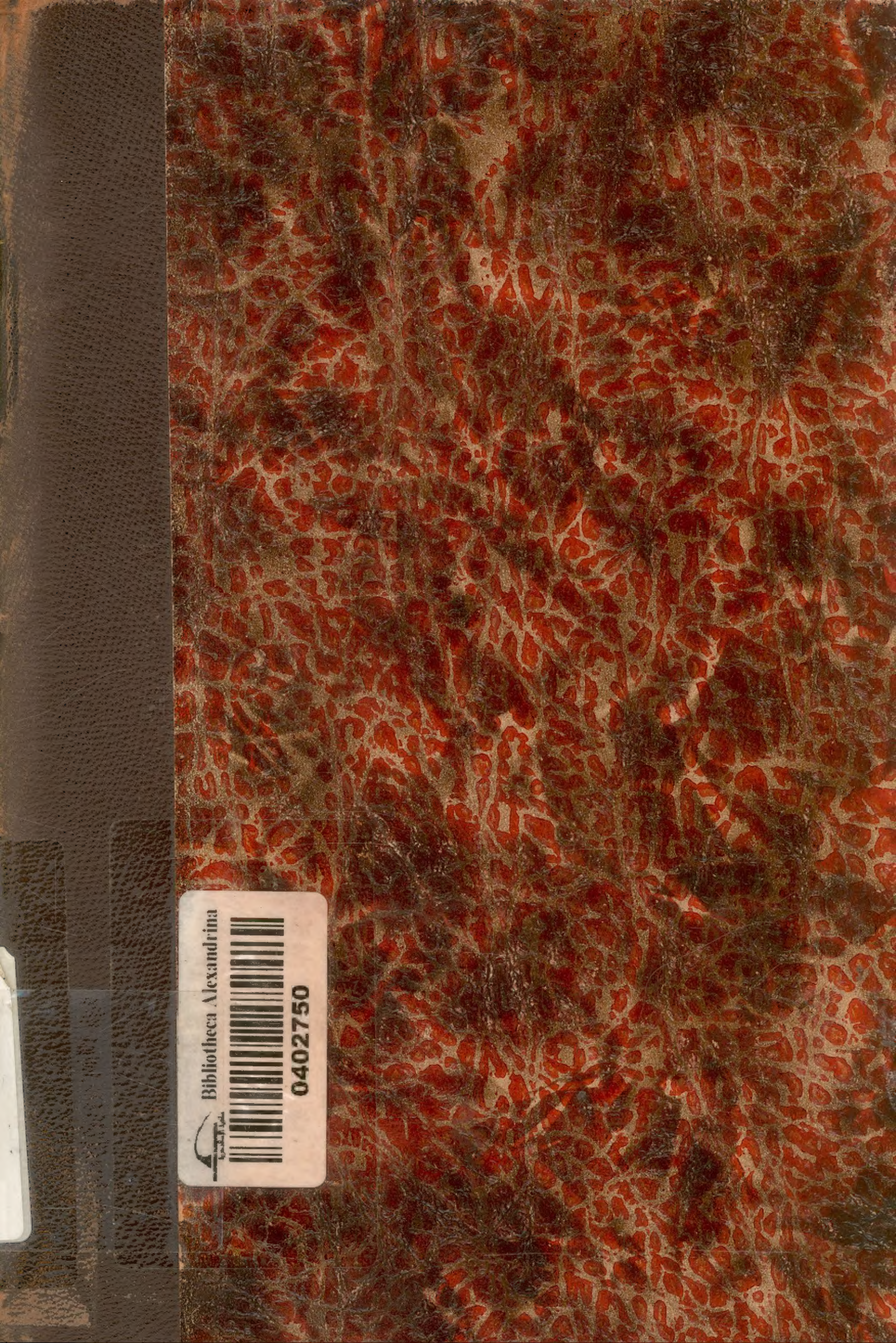
ولله تعالى رَوْح تأتى عنداليأس منه يُصيب به من يشاء من خلقه . واليه الرغبة فى تقريب الفرج ، وتسهيل الأمر والرجوع الى أفضل ماتطاول اليه السول ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

---

١) التمحيص : التخليص مما يشوبه .

تم الكتاب : والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد النبي وعلى آله وعترته الطاهرين وسلامه .




Bibliotheca Alexandrina
0402750